محمود حسانين

رواية

الجاكرندا

JACARANDA

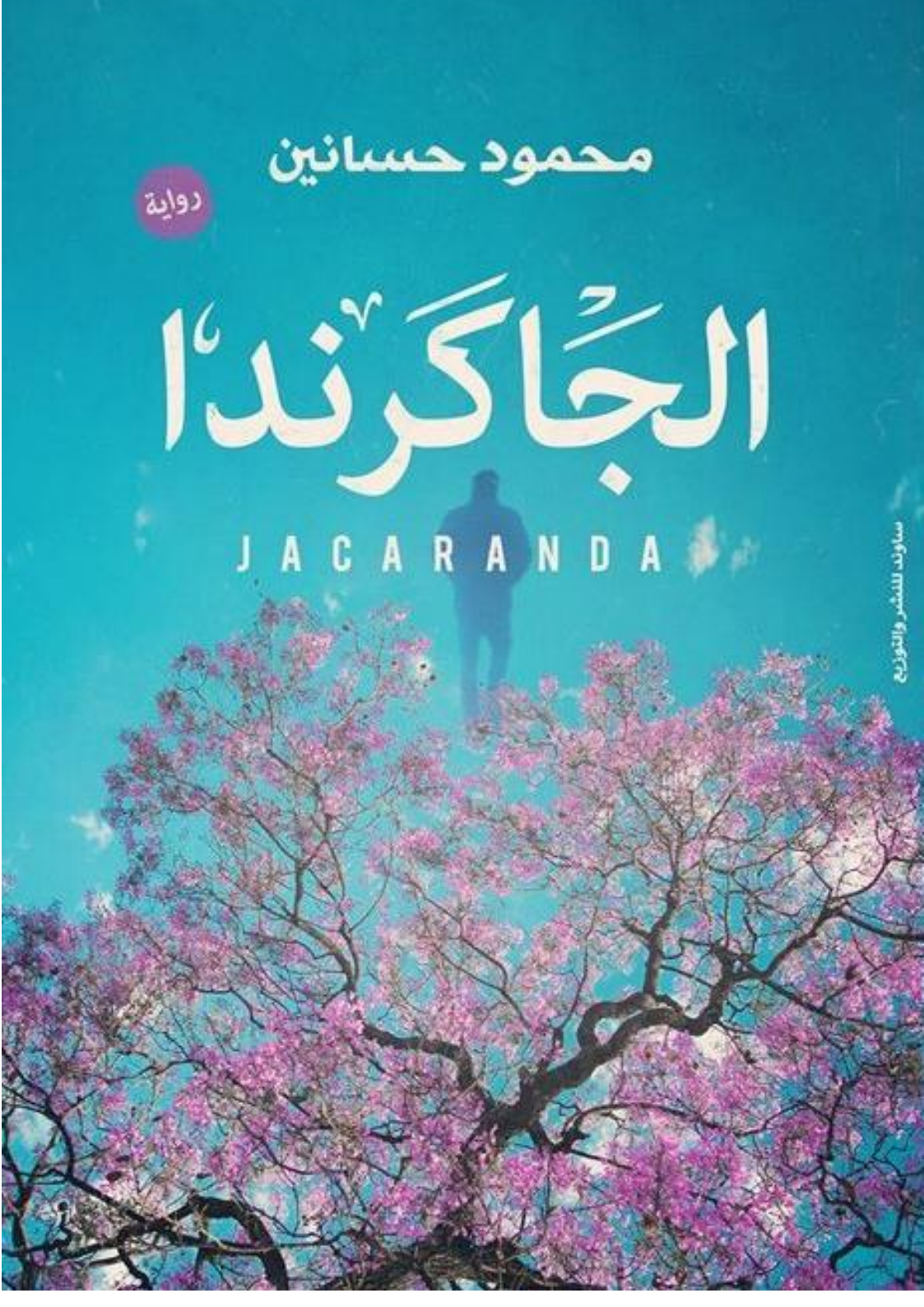

سامند للنشر والتوزيع

حسانين، محمود
الجاكرندا: رواية/
محمود حسانين_ الجيزة: مكتبة ساوند للنشر والتوزيع، ٢٠١٥
ص؛ سم.
تدمك ٥ ٣١ ٥٣١٧ ٩٧٧ ٩٧٨
١- القصص العربية.
أ- العنوان
٨١٣
رقم الإيداع ٢٣٥٣٨ / ٢٠١٥
ISBN 978 - 977 - 5317 - 31 - 5

إن الآراء الواردة فى هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأى ساوند للنشر والتوزيع.

جميع الحقوق محفوظة

٢٩ شارع محمد عبد السلام، خلف كايرو مول
الهرم - الجيزة - مصر.
تليفون: ٠١٢٧٧٧٨٥٩٧٣
Email: soundforpublishing@gmail.com
الطبعة الأولى: ديسمبر ٢٠١٥
تصميم الغلاف: كريم آدم.
تصحيح لغوى: أحمد جاد الكريم
الإخراج الفنى: أحمد الطيب.
الإشراف العام: أحمد النَميس.

جميع الحقوق محفوظة
لا يجوز إستخدام أو إعادة طباعة أى جزء من هذا الكتاب بأى طريقة أو وسيلة نشر متاحة دون الحصول على موافقة خطية من الناشر.

الجَاكَرَنْدَا

"**Jacaranda**"

الجَاكَرَنْدَا

"Jacaranda"

رواية

محمود حسانين

الإِهْدَاءُ

مَنْ سَرَتْ فِي الجَسَدِ

إِلَي الذِّكْرَيَاتِ

الَّتِي

جَعَلَتْنِي

بَقَايَا

مَ حْ

مُ

وْد

أسلوب حياة

ليس أقوى أفراد النوع هو الذي يبقى، ولا أكثرهم ذكاء، بل أقدرهم على التأقلم مع التغيرات.

(داروين)

الكثير من الناس يموتون وقليل هم من تعيش سيرتهم خالدة بين البشر على مر العصور"

كان مولع بهذه الحكمة التي جرت على لسانه بعدما عرف الحقائق وتكشفت له أسرار الحياة، كان دائما يتساءل، إلى أي مدى يكون تأثير الإنسان على الحياة، التمسك بآرائه، العند والكبرياء، والصفات التي يضعها على خريطة حياته، وكثير هم من يتخذون السلبية وسيله، وذريعة لأفعالهم، ويكون معتقدهم الوهم، و أملهم هو السراب، كثيرون يموتون، وقليل هم من تعيش سيرتهم خالدة بين البشر على مر العصور.

رغم كل المتاعب التي أحاطت به غير أنه يعلم إن كل شيء له من الأسباب ما يجعل الأحلام، هي واقع لم يستطيع الإنسان تحقيقه، رغم انه لم تمهله الحياة أن يحقق حلمه في أن يكون مثال ينحت من صخر الحياة جسدا يبث فيه من روح الطبيعة بلمساته، غير انه استسلم مرغما لمتطلبات الدنيا ليعمل مهندسا في إحدى الشركات الخاصة، رغما عنه كانت إرادة الحياة أقوى من إرادته، كان لا يعلم أين تقبع الأماني حتى يذهب إليها ليقتنص من بينها أمنيته، يتململ وهو يفرد ذراعيه في تكاسل، ويسمع صوت طرقعة مفاصله وهو يشد رجليه، ويخرج تنهيدة

من صدره، ترسبت فيها أحاديث الأحلام الوردية وغيرها، التي تطوف به في كل مساء، يتذكر وهو مازال مغمض العينين، مشهده اليومي وهو يغادر منزله في الصباح متوقعا يوما ما أن يكون في يوما ما فيه اختلاف محدثا نفسه:

– ولكن فيما الاختلاف..؟ وكل شيء كما هو؛ الطرقات، الناس، حتى ذلك البائع الذي يتفنن في غش الناس بنفس الحيل ونفس الأسلوب، حيث يربط قاعدة إحدى كفتين الميزان بخيط متين من ذلك النوع الذي يستخدمه المنجد، ويربطه بين أصابع رجليه وعندما يضع الزبون ما انتقاه من طماطم أو بطاطس أو غيرها، فينظر هو إلى حجم الكيس ثم يضغط بأصابعه جاذبا الخيط، لكى تهبط الناحية التي يربط بها الخيط وبهذا لا يعلم الزبون انه قد بخس له الميزان، فمنهم من يفطن إلى قلة كمية الخضار فيشترى أكثر أو يأخذه وهو مغتاظ، هو وغيره يعرفون عليه ذلك، ولا ينكرونه، ويقعوا في حبائل نصبه .

يفتح عينيه بحذر، حتى لا يباغته الضوء الذي غالبا يأتي من زجاج الشباك (الفاميه)، بلونه الأزرق الداكن الذي اختاره خصيصا لهذه الغرفة فهو أكثر شئ ينغص عليه يومه أن يستيقظ ويجد الضوء المبهر في عينيه، ولهذا فهو يطفئ جميع

المصابيح التي بالشقة، ولا يترك غير نور خافت يأتي من لمبة صغيرة تسمي "وناسة" موضوعة "بالبريزة" التي في الممر الذي يؤدى إلى غرفة نومه والحمام، ينتبه على صوت أزيز المروحة التي تترنح على السقف، كأنها إحدى العاهرات، التي تجرعت من كاس الهوى ما افرغ عقلها وفسخ مفاصلها، فأخذت لا تعي الاتجاهات، ولا تدرك ما تصدره من أصوات، وخوفه من أن يأتي يوم يحاول الاستيقاظ فلا يستطيع، حيث تكون روحه فارقت جسده، عندما تهوى هذه المروحة بكل ثقلها وخطورتها، وهى ثملة على جسده، وقتها لن تمهله لحظة فيفقد حياته متأثرا بعدة جروح، بل سوف تتقطع على أثر هبوطها شرابينه.

يفرك عينيه وهو يقاوم النوم، واسترخاء جسده المتكاسل، الذي تجذبه المرتبة كالمغناطيس كلما حاول النهوض، ينهض نافضا كل خموله وكسله، ومتغلبا على متعة النوم في الصباح، وحلاوة الاسترخاء حتى الظهيرة، تتلخص حياته المنزلية بعد عودته من عمله و التي يقضيها بين الصالة والغرفة، التي بها التلفاز والكمبيوتر والمكتبة والمكتب العتيق، أما هو يقرأ، أو يتناول طعاما، يعد لنفسه كوبا من الشاي أو القهوة، أو يشاهد التلفزيون غير مكترث بما يعرضه، وكثيرا ما يجلس على جهاز "اللاب

توب"، يناوش ويراوغ حبيبته أو إحدى صديقاته، يستلقي بعدما يجاهده التعب على السرير الصغير الذي أتى به بناء على نصيحة أحد زملائه، عسى أن يأتيه زائر يقرر المبيت عنده، ينظر في تليفونه المحمول يجدها تشير إلى السادسة والنصف يتركه على الـ"كُومُودِينُو "، يجرجر قدميه حتى يصل إلى الحمام ينتعل الشبشب البلاستيك، الذي يحذر من لبسه كثيرا، فمنذ أكثر من شهر بعد شرائه، نعمت أرضيته مما جعلها سريعة الانزلاق، حتى كادت في أحد المرات أن توقعه، لولا أن تشبث بطرف الحوض، لكان الآن من أصحاب الشرائح، يومها قرر أن يشتري غيره ولكن الذاكرة لا تسعفه بالتذكر، يخطو بكل حذر إلى داخل الحمام، لطالما كان حلمه في حمام باتساع الشقة به "البانيو" الفخم والحوض المرصع المُكمِّل لباقي طقم الحمام الجميل، الذي كان يراه في إعلانات التلفزيون، وها هو يحقق حلمه حمام في حجم غرفة كبيرة، به كل سبل الراحة، حتى يكون بيت الراحة كما كانوا يطلقون عليه، كثيرا ما كان يغطس في "البانيو" لا يحس بالوقت وهو يداعب فقاعات الصابون، كان يحس بأنه مخدر ومغيب عن الوعي، وهو مسترخ غير مدرك لمرور الوقت..

يغلق الباب خلفه يفتح المياه يتناول المعجون يعالج أسنانه بالفرشاة، يتمضمض، يغرغر، يلقى ما في فمه، وهو يتناول الصابونة ويراوغها لترغى بين يديه، يطلى وجهه بالصابون، و يلطمه مرة أخرى بالماء، يتوضأ، يخرج إلى الصالة يتجه إلى السجادة المفرودة في ركن قصي في الصالة، كأنها قطعة رسم من سيراميك الصالة، ينتهي من صلاته يتناول أحد الكتب من على المكتبة يتصفحه بلامبالاة وتكاسل، يلقى به على إخوته فوق "الترابيزة" التي تئن من ثقل الأشياء التي عليها، كتب مبعثرة، أكواب فارغة، باقي أعقاب سجائر في منفضة السجائر، فتافيت خبز جافه، أواني وجبات الـ"تيك اوي" فارغة من محتواها، علب "الكانزات" التي تتناثر عليها، ملقاه على مساحات متفرقة، بلامبالاة يتناول من على أحد الكراسي "الفوتيه" قميصا و بنطلونا مازالت رائحة ألامس عالقة بهم، يرتديهم يتجه إلى غرفة نومه يلتقط الـ"موبايل" ويرش بعض رزاز من زجاجة العطر على قميصه، يتناول "المشاطة" المستديرة يمررها على فروة رأسه، يلقيها من بين أصابعه، يلبس حذاءه و يحكه في ظهر البنطلون، لإزالة ما علق بوجه الحذاء من أتربة، يتجه إلى باب الشقة، يتحسس جيوبه يطمئن على المفاتيح و"الموبايل" يفتح

الباب ويخرج ويغلقه خلفه، هابطا درجات السلم التي اهترأت أطراف بعضها، وتشققت ملامح الأخرى و تيبست إحدها، حتى ظهرت الأسياخ الحديد بها، يأتيه صوت "موتور" المياه وهو يصدر صوته ذو النغمة الحادة، يلقى نظرة عليه في "بير" السلم، قبل أن يوليه ظهره ويتركه وحيدا بصوته يملئ المكان.

تخطو قدماه على أتربة الشارع الذي يقطن فيه، كل شيء كما هو، المياه التي تمتصها التربة أمام المنازل، بعض الورش التي استفتح أصحابها الرزق بإذاعات الراديو، أو بقارئ للقرآن يتلو، والجالس أمام المحل لا تدري هل هو مدرك لصوته، أم هو مشغول بحجر المعسل و "كباية" الشاي "الاصطباحة"، في طريقه إلى العمل ينحني في اتجاه الشارع الرئيسي يرى على الجهة المقابلة له، نفس المحل الذي يبيع التفاهات، من إكسسوارات النساء، ما كان يطلق عليه في القدم "توك، وبنس، ودبابيس"، الآن أصبحت أشياء من أهم مقتضيات العصر بالنسبة لهم، لها مسميات أكبر من حجمها، فينتابك شعور وأنت تسأل عليها، كأنك تسال عن اسم اختراع لأحد العظماء، هكذا النسوة قليلو الحيلة، وعديمو الفائدة حينما يتعلق الأمر بتفاهتهم.

يتجه مباشرة إلى حيث ترقد مركبته البخارية بجراج قريب من مسكنه، وما إن يقترب حتى يرى تلك التي كلما رأته وهى تنظر من بروازها المعلق على واجهة البيت، تتناول علبة الألوان، وتحدد على وجهها ملامح غير ما رسمته الطبيعة لوجهها، ترسم نقوشا غير تضاريس وجهها تلون على وجنتيها خطا للاستواء وعلى جبينها مجرى للمياه، عجبا لم يلاحظ ولو تغيرا بسيط منذ زمن، وهى كما هي، لماذا لا تكبر بالسن، أو تصيبها أدوار البرد بالأنفلونزا، أو يلفحها الهواء الساخن فيرقدها بحمى تهذي على أثرها مدى العمر.؟

نفس أسلوب الحياة التي يعيشها منذ زمن، لا يتغير من كل ما يحيط به شيء، فالشوارع والناس و المحلات والمباني، وحتى تلك السيارات التي تجرها البغال وهى تجري في اتجاه وسط البلد، على الرغم أن يد التقدم والتكنولوجيا التي حلت على بعض الواجهات الخارجية للمحلات،لن تغير أسلوب حياة البسطاء، بعض الألوان التي تطلى بها بعض واجهات المنازل بألوان غير متناسقة، حتى تلك المحلات التي زينوها بجذوع النخل و الأشجار، وبعض أنواع من "الحصير" المصنوع من الحلف ذلك

النبات الغير محمود، الذي ينبت بجانب الترع والمصارف في صعيد مصر.

يقولون بأنها موضة العصر وفن تجريدي حينما يرشون عليها بعض الألوان بطريقة عشوائية، غير بعض الأسماء لتلك المحلات التي تحتاج إلى مفتاح لغات متعدد لحل معناها، فهي تجدها مزيج من العربية و الإنجليزية و الإنجليزية و الشعبية و الإيطالية و الهندية ووووو.....الخ.

يتجه إلى حيث توجد دراجته البخارية فيلقى نظرة أخيرة على الشارع الذي يقطن فيه، ويستقل وسيلته المفضلة إلى حيث مقر عمله، يتخذ المسار الصحيح للمرور رغم أن الشارع تسير فيه كل المركبات على هوى أصحابها، غير أنه ملتزم بالسير في طريقه الصحيح، فهو يخشى أن يكدر صفو اليوم عسكري مرور يسحب منه رخصة قيادته أو رخصة المركبة، وفي هذه الحالة لن يستطيع الذهاب إلى عمله أبدًا، فالمواصلات داخل القاهرة عبارة عن سباق خيل الرابح هو الأسرع في اللحاق بالأتوبيس، أو معركة ضروس بين الأجساد وانحشارها في عربة المترو، يترك شارع هدى شعراوي، ليدخل إلى اتجاه ميدان طلعت حرب ومنه إلى ميدان الأوبرا متجها إلى نفق صلاح سالم حيث يصل

إلى عمله، ينتهي به التفكير عندما يقطعه عامل البوابة وهو يستقبله قائلا:

– حمدلله ع السلامه يا بشمهندس.

يتمتم هو في سره دون أن يصدر صوتا أو يرد على العامل، فهو لم يحصل كلية الهندسة، ولا يدري شيئا عن الهندسة، فهو خريج كلية فنون جميلة، و ليس معهد ميكانيكا وحصل على معهد حاسب آلي، و ليس دبلوم صنايع أيضا، و يعمل في قسم الحسابات في هذه المصلحة الحكومية التي لا هم لها غير استلام أذونات واستخراج تصاريح، كأنها ميناء سفن وليس إدارة حكومية، ما ذنبه ان يكون في قسم الإجازات لا يدرى كلها أمور من تلقائية الحياة وعدم وعيها بمن يحيون بها، وعلى الرغم من كل هذا فالعامل مُصِر على أنه بشمهندس لماذا لا يدرى ؟ وكان دائم النظر إليه بريبه، محدثا نفسه: ربما كان يتصنت على "الشلة " في سهراتهم؟

* ** * ** * **

يمر يومه كباقي الأيام ما بين أوراق وأصدقاء المكتب وإحصائيات ذاهبة وأخرى آتية وتأشيرات ومراجعات ووجع دماغ،

ودفتر تدوين الأسماء، ينظر إلى رفاق مكتبه المنهمكين في أحاديث مملة، قد ملها منذ أن استلم عمله، كانوا يشاركونه أحاديثهم حتى ملهم ومل حديثهم، هي ثرثرة لإضاعة الوقت إن جاء وقت الانصراف تجدهم قد فرقتهم ضربة السياط من العجلة لمغادرة المكتب، ويتسابقون كأنهم أعداء في سباق حتى الموت، ينسلخ هو من كل هذا، ويفر من بينهم هاربًا من هذا الملل الوظيفي ومن روتينه اليومي، يستقل وسيلته المفضلة، ولا ينسى أن يرمق العامل بنظرة اعتاد أن يلقيها عليه، و وبلامبالاة يستقبلها العامل بابتسامة صفراء، ينطلق مجتازا شوارع العاصمة حتى يصل إلى منطقة وسط البلد وهناك، وكالعادة يوقف دراجته البخارية أمام الباب الرئيسي لأحد المطاعم الشهيرة، بالوجبات البقولية، ويدلف مخترقا صفوف البشر، متأففا من روائح أجسادهم التي تلاحمت حتى أنتجت رائحة هي مزيج من "برفانات" رجالي ونسائي، وماركات عالمية ومحلية، وعطور شعبية، فتأتيه الرائحة تزكم أنفه، لكنه في كثير من الأحيان كان يستنشقها كلون من ألوان الخدر الذي يسرى في جسده بعدما إعتادها، يجلس في المطعم المفضل ليأكل وجبته البقولية المتنوعة، لم يفكر يومًا في تغييرها فهي والوظيفة شيئان ارتبط

بهما، يلتهم طبق الفول وأقراص الطعمية وباقي طبق السلطة، ثم يجلس في ارتخاء منتظرًا كوب الشاي ليحبس، فهو الزبون الوحيد الذي يحضرون له كوب شاي بعد الأكل، تعتبر هذه الوجبة هي وجبتي الفطور والغذاء فهو لا يفطر في الصباح، ويزوِّغ كالعادة من العمل قبل الظهر، بعدها يركب دراجته البخارية ويسير في الشارع الطويل الذي ينتهي من إحدى جهاته إلى ميدان التحرير، ليجد نفسه في تقاطع مع شوارع وسط البلد، يشترى بعض الصحف، ليتصفح بعض منها على أحد مقاهي وسط البلد المشهورة، ترافقه دراجته البخارية التي تجول معه كل رحلاته، وكل نزواته، وكل أفراحه، حتى همومه، تشاركه فيها بان تعطب فيصلحها، وهو راكن جنب أي رصيف، فعلا بشمهندس ميكانيكي درجات بخارية كما تقول عنه الشلة، يمتطى دراجته مجتازا شوارع المدينة الصاخبة اللاهثة و الزافرة بحرارة الجو في هذا الصيف العتيق، يذهب إلى منزله لينعم بقسط من الراحة في القيلولة، يلقى بالجريدة وسط أكوام من الجرائد والمجلات التي على "الترابيزة"، التي تتوسط الصالة كما تنتشر نظائر لهذه الأكوام في أرجاء الغرف، حتى الغرفة التي لا يدخلها إلا عندما يريد من الدولاب بعض الملابس، يتجه إلى

غرفته المفضلة يضغط مفتاح النور لتضاء الغرفة كما يضغط بتلقائية على مفتاح المروحة التي تبدأ في إصدار أزيزها وزقزقته، ينظر إلى المكتبة التي كادت أن تتهاوى من على الحائط، فهي شبيهه بامرأة حامل مصلوبة في غرفه ليس بها هواء ولا ضوء، فارقت جسدها الحياة وتهدلت أكتافها وتصلبت أعضاؤها، بعدما ثقلت الأرفف المعلقة على الحائط بالكتب والمجلدات، والكثير منها أيضا ملقى على المكتب، الذي تحول سطحه إلى ما يشبه سطح المنزل، الذي يلقى عليه الأثاث القديم للشقق التي لا يعبأ قاطنوها بأسطح منزلهم، اتجه إلى جهاز "اللاب توب" الخاص به، أزاح بعض الكتب جانبًا وهو يضع "اللاب" في الوضع الذي يستريح فيه، يطمئن أن وصلة "النت" مثبته جيدًا، يوصله بالكهرباء، فهو يعلم أن بطاريته لن تسعفه ساعة على أكثر تقدير، يقوم بتشغيله يدخل إلى صفحته "الفيسبوكية"، ينظر إلى الإشعارات وعددها المهول، ينظر إلى الرسائل التي تجاوزت العشرة، يضغط على خانتها، تنبثق الرسائل بعناوينها و أسماء أصحابها، ينتقى منها واحدة، إنها "مس إيجبت" هذا الاسم التي اختارته لنفسها على "الفيس"، تلك الإنسانة التي شغلت فؤاده واستحوذت على مشاعره، إنها الوحيدة التي انجذب إليها،

أسلوبها، تفكيرها، كلها تتوافق مع جنونه، كان يتخيلها أسطورة الجمال و أنشودة الحب، كم التقيا في ارض الواقع بعد محاولات أن يراها، امتزجت أرواحهما، غردا، وكان شدوهما في كل مكان محط الأنظار، وغيرة العشاق، حتى اختارا هذا المكان الذي أصبح معبدًا يتعبدان للحب فيه، تظللهما أشجار من كل الأنواع والألوان، فاختارا من بينها شجرة واحده صاحبة كرامات في كل البلاد إنها شجرة " الجَاكَرَنْدَا "، قرر يوما أن يرتبط بها ليمتزجا، كلما تذكر ذلك اليوم، لعن أبوها.!، الذي رفضه و الذي نكل به في منزله حينما ذهب ليخطبها.

* ** * ** * ** *

الجَاكَرَنْدَا

"Jacaranda"

تذكر أن أجمل ما في الحياة هي الأشياء أقلها نفعا كالطواويس والورود.

قد تغفر لك المرأة القسوة والظلم، لكنها لا تغفر لك عدم الاهتمام بها.

لكي تكتب رسالة عشق عليك أن تبدأ دون أن تعلم ماذا تريد أن تقول وأن تنتهي دون أن تعلم ماذا قلت.

"جان جاك روسو"

يقرأ كلماتها التي تنساب إلى عقله وتغزو قلبه و تأسره، يتذكر الأيام واللحظات التي كانت تجمعهما في هذا المكان الذي تزين

حديقته أشجار الجَاكَرَنْدَا "Jacaranda"، تلك الشجرة التي كانا يستظلان بها في أوقات النهار، وتقيهما برودة الطقس في الشتاء، كانت جلستهما المفضلة تحتها كانت تحتضن أحلامهما، و أوجاعهما، كانت هي الرفيقة و المؤنسة في وحشة الأيام، كم طال الحديث وهما يجاورنها كم استنشقا رائحة الحب بظلها، هذه الشجرة مَشْفَي لأوجاعهما، يوما ما أقسم ألا يجعل شيئا في الكون يفرقهما، قال لها يوما وهو ينظر إلى الأوراق الجميلة التي تزينها:

– أن هذه الشجرة، تميمة حظ رغم جمالها غير أنها توجد فيها قوة أخرى، انظري إلى أوراقها مركبة كالريشة الفردية متقابلة،كأنها جناح حمامة رقيقة، والوريقات متطاولة ذات قمة و لون أخضر فاتح والأزهار بنفسجية، بيضاء وزرقاء اللون تظهر في الربيع قبل ظهور الأوراق، فتعطنا شكل حمامة جميلة، وتزرع للظل والتزيين في الشوارع وفي الحدائق العامة، يطلقون عليها في جنوب أفريقيا "مدينة الجَاكَرَنْدَا" لأنها الشجرة الرئيسية في شوارع ومنتزهات المدينة، حيث أنه في بداية الصيف تكتسي المدينة باللون البنفسجي المدهش عندما يصل إزهار الشجرة إلى ذروته، وقوتها الأخرى تكمن في اعتقاد الكثير من الناس

وخصوصا الطلاب والتلاميذ أنه إذا سقطت على أحدهم زهرة "جاكرندا" فسيجتاز جميع الامتحانات، أو انه سيكون من السعداء هذا العام، فالوهم الرابض في عقول البشر لا يعرف موطنا، وقدرة البشر على الاستسلام لكل ما هو مسلم به من خزعبلات لا يفرق بين شخص وآخر ولا بين بلد وأخري، حتى وان كان هذا الوهم في ورقة شجرة.

ابتسمت هائمة وهى تقول :

–ما عرفش إنك عالم في النباتات، عجيب أمرك تقريبا أنت على دراية بأي شَيْءٍ في الحياة ورغم ذلك أراك تستسلم لأي ظرف من الممكن أن يقسو عليك.

نهض ومد يده واقتطع أحد الفروع الصغيرة وهو يناولها إياها قائلا:

–ممكن جدا ولكني أقسمت أن اجعل حبي لكِ لا يمحوه الزمن، ولا تفرقنا الأيام خذي هذا الفرع انه تميمة حظ كما هو معروف عن هذه الشجرة.

احتضنت يده وهى تأخذ الغصن قائلة:

–رغم أنى أعلم أنك لا تؤمن بهذا الكلام غير أنى واثقة من عهدك ولتكن فروع الشجرة هي تميمة أمل لحبنا.

يتذكر كم مرة كانا يجلسان تحت شجرتهما لقد كانت "الجَاكَرَنْدَا" لهم رفيقة وخليله، و ملجأ ومشفي، من هموم الدنيا، كما كانت تميمة سعد لساعة اللقاء، تشاركهما أوجاعهما ويبثان إليها آلامهما، وكانت تميمة الأمل لهما.

يوما قالت له يوما على الخاص في بدايات تعارفهما :

– أنت رجل واثق ومتمرد وتحتاج إلى أنثى تسحب منك الثقة، ويلك لا تخاف الأنثى، تلك التي غلبت إبليس وسيطرت على ملوك الشعوب.

ضحك قائلا :

– أنا لها حتي وان كان الحلم بالأنثى المغايرة مستحيل، فهل من الممكن أن يجعل الإنسان سقفا لأحلامه.....؟

قالت له يوما:

– فليكن أنت من أردت أن تكون مطمعي من الآن، أما أن أحطم قيودك وأحررك من كيانك، أو تخضع لي، و أكون أنا من أملكك في حياتك.

قهقه ضاحكا من عصبيتها التي سيطرت على كل حروف كلماتها، وبكل ثقة أجابها بكلمات متقطعة لا تحوى إجابة واضحة:

قالوا بأن الوجع مرير قلت... نعم
قالوا بأن الحب أصبح قتيل.... قلت لا
قالوا بأني هوائيا مجنون قلت..... لا
أخذت ترسل له أشكال "اموشن" لتوحي له بإيحاءات شتى.
ضحك مرة أخرى، وكتب لها:
– ها ها هاااااااااا .
ضحكاته تلك تصيبها بهيستريا الجنون، فهي تملك في كتاباتها جنون العظمة، ولا تسمح لأحد أن يكون مثله يشاركها هذا الجنون.
أرسل لها أغنيه قديمة، تقسم فيها المطربة أنها عنادية و شكاكة إلى درجة الخبل، لم تقبل هذا الوضع الذي وضعها فيه أطلقت كلماتها وحروفها المتوترة:
– دي شبهي أنا.!!!!!!!!!!
لم يمهلها الرد أغلق صفحته متعللا بضعف "النت"، واسترخي يفكر فيها.
في اليوم التالي وعندما فتح صفحته وقبل أن تهاجمه كعادتها أرسل لها اعتذار بانقطاع "النت" ثم الكهرباء.
أرسلت له حروفا تملؤها العصبية:

– و أين ذهب تليفونك المحمول، لماذا لم تدخل من خلاله.

قهقه ضاحكا قائلا لها:

– تليفوني صيني لا يدعم "النت" أصلا يا صغيرتي .

صمتت و كأنه يتخيلها وقد حادثتها نفسها:

ماذا قال لها؟ صغيرتي .

أطلقت زفراتها في رسالة وهى تقول:

– أنا كبيرة في سن الشباب، عندي "٢٢" سنه وتقول صغيرة.

أرسل لها مداعبا :

– بل طفلة في سن الشباب.

أخذت تكتب بتوتر واضح وعصبية زائدة، اتضحت من طريقة كتابتها، وهى تكتب كلمه كلمة كأنها لا تطيق أن تكمل الجملة مجمعة، كأنها تسارع الوقت للرد قالت:

أنت تستغل نقطة ضعفي في كوني مثرثرة، كلا لن أعطيك فرصة أكثر.

قال لها:

– لماذا أنت متوترة وعصبية هكذا.؟

ظهرت عنده إنها تكتب واستمر أنها تكتب لمدة خمس دقائق حتى ظن إنها تكتب له وصيتها ثم ظهرت رسالتها قائلة:

– سلام

قال في باله :

– ولما لا فسلام أيضا عليها.

ترك الجهاز ، واستلقى على سريره وهو يفكر فيها، فهي لسعة الكهرباء التي تنشط كل كيانه، ليبدأ العمل في اليوم المميت من ساعات عمل روتينية وساعات عمل إجبارية وساعات أخرى شبه لا إرادية، هكذا اليوم شيئا يصيبك بالتخمة الضجرية، مرارا كانت تلهو مع أصدقائها على مواقع "الفيس بوك" تلعب، تلهو، تسمع أنغام الموسيقى وتعرض صورا ومشاركات.

حينما دعته مرارا، لمشاركتها اللعب في تلك اللعبة، التي كادت أن تصيب أغلب رواد الموقع بشلل تام " المزرعة السعيدة"، تلك اللعبة التي تناوش كل من يدخل إلى "الفيس" كره صفحته، وكل من يرسله طلب صداقة جديد يكن متخوفًا منه، فهم يطلبون الأصدقاء للعب معهم، وهى تطلبه لكي تنسج معه حبكة المستحيل، فلا هو لها عاشقا ولا هي له ملكة في ممالك عالمه الخالص.

لا يدرى على من يرثوا، العبء الثقيل الذي يجاهد لكي لا يبوح به، لقد قرر الهروب من الواقع بكل الأساليب حتى المخدرات بكل أنواعها لم تفلح.

* ** * ** * ** *

(الثانية عشر وخمس دقائق)

يلقى نظرة أخيرة على الجدران التي نقشت بكعوب الكتب، حتى تصطدم عيناه بساعة الحائط، وعقاربها التي تيبست من قلة الحركة، وكأنها تتوسل إليه أن يجعلها تترك الرقم الذي تحتضنه منذ أكثر من سنة، "الثانية عشر وخمس دقائق"

لا يدري يومها أكان هذا التوقيت مساء أم ظهرا؟، لا يهم إنها توقيتات لزمن آخر غير الحاضر، حاضره هو الذي دائما يحاول أن يهرب منه إلى أوهام الذكريات أو خيالات المجهول، ينهض، يستلقي على سريره، يتوسد على سريره يحتضن مخدته محاولا

إيجاد أي من قصص الوهم من عقله الباطن، يتذكرها تحادثها في مساحات المجهول في حلم يقظته:

– يا قلبها يا من تزين للعاشقين الوجد لها، أتراك ترى في عيني لها شوقا أم أن الحب الذي أطل من بريقهما وهما وسرابا.

يبحلق في سقف الغرفة وهو يتذكر كلماته التي كان يناوشها بها على صفحته :

– يا من تعطى الحياة لجسدها، يا مجرى نهر السر الأبدي للخلود والفناء.

كانت ترد:

– أنت يا من أن أتيت إلى مرفئي، و أنت ترتع في حدائقي طفلا جسورا.

يدون تغريدة على (تويتر) في صفحته الخاصة ليحيرها، فهو يعلم إنها سترى كل تغريداته على (الفيس) لارتباط الصفحتين بعضهما البعض، لم يلتفت يوما إلى تعليقات الأصدقاء ولا سماجتهم، بل كان كل همه فيها هي وفي كلماتها.

يتمتم وهو يغمض العينين بقوه كأنه يعتصرهما:

– يا قلبي أعطني من ألف ألف قوة، كي أقاوم سحرها، أعطني ألف ألف حربة وسيف ودرع، لكي أغزو عينيها، أو أن تكف

الحروب عن ملاحقة من يهواها، أخيرا يا قلبها ترتاح من عطائك لها هل حقا ارتحت ..؟

هل فعلا لم تعد تعطها إكسير الحياة..؟

لا تقل نعم ففي النون نار تحرق الفؤاد، وفي العين عتاب لم يأتِ لتأخر الأسباب، وفي الميم مهر ضاع في طريق الذهاب.

يأتيه من يحاوره، كلمات تأتى من عقله الباطن، يتقلب كالمحموم، يقترب الصوت:

– نون وعين وميم كلمة تريح الفؤاد إن اكتملت.....

يا قلبها أتراك قد فعلت ما فعلت من أجلي، وقلت إنك لم تعد تعطيها دفقات الأمل والحياة، ففي قلبي أنهار من دمع، ونيران تغلي حممًا بركانية تذيبني، وأنا أقف بين حزن الفراق يواسيني، وفي مثواها البعد يرسل لي برقية عزاء.

ينظر حوله، يجاهد في أن يشغل عقله بلا شيء غير التفكير بها، تشغله الفكرة، أيفكر في غيرها وهو في لحظات التجلي، ولكن كيف؟ يتردد السؤال، يكون كالصدى يترجرج في أذنيه ويغط في نوم عميق.

تأتيه الصراعات التي تتلاحم، وتمتزج بينها وبين رؤى غير واضحة للحياة، يرى المحبين وكل من يخطر في ذهنه من

فتيات شغف بحبهن، ومواقف كانت أقصى أمانيه أن يكون فيها، حتى يأتي ذلك الوحش الذي يكشر عن أنيابه، ويرتفع صوته المخيف وينطلق نحوه، يجرى وهو يلتفت خلفه مخافة أن يلحق به هذا الوحش، الذي يسيل اللعاب من فمه يحرك يديه بصورة تلقائية إلى الأمام وإلى الخلف، كأنه يجدف في الهواء مستجديا السير بسرعة، يحس أن قدميه عاجزتان عن الهرولة مثقلتان كأنهما مكبلتان، صوت الوحش يقترب الزئير الأنفاس الحارة التي يحسها برقبته، يحس بشيء يطوقه يحاول أن يصرخ، ولكن صوته لا يتجاوز كيانه، يقاوم مطوِّحا بيديه ولكن بلا جدوى.

* ** * ** * ** *

يفتح عينيه بصعوبة ليجد نفسه مقيدًا وقد التفتْ ملاءة السرير حول ساقيه ويديه وحول خصره، يفتح عينيه عن آخرهما وهو يفركهما غير مصدق أنه مازال حيا، يحمد ربه ويحرر جسده من ملاءة السرير، ويحاول النهوض محركا يديه وقدميه، جسده يصدر طرقعات كأنه كان في حوض من الجبس.

يأتيه صوت المؤذن يفيق على آذان المغرب، ينهض يحاول الاتزان، يستند إلى قوائم السرير يتثاءب وهو يلوح بيديه يمينا ويسارًا يفردهما، ويرفع جسده حتى يقف على أطراف أصابعه، فتصدر عن مفاصله أصوات مختلفة النغمات يهبط مرة أخرى على رجليه، يتحرك في اتجاه الصالة يتذكر ثم يعود إلى حيث المطبخ، يتناول بعض من الآكلات السريعة التي تكتظ بها الثلاجة، وهو واقف أمام القطعة السفلية للمطبخ الخشبي، يشعل "البوتاجاز"، ليحضر لنفسه كوب الشاي الذي يفوقه قبل أن يأخذ دشا، ويعد قهوته المفضلة، يضع إبريق الشاي يغسل كوبه المفضل ذا المقبض الكبير، يضع ملعقة سكر ونصف، يضع فتلتين شاي، يغلى البراد يتناوله يصب منه الماء المغلي، يقلب يتجه إلى الصالة يضع الكوب على "الترابيزة" المزدحمة، يتجه

إلى الحمام، يدخل ثم يشعل السخان الغاز مع أول ضغطة على محبس خلاط المياه يأخذ دشا، يخرج في سرعة إلى الصالة يحتسى رشفات من كوب الشاي الذي قارب أن يبرد نهائيا، يضعه ويتجه إلى الغرفة يرتدى ملابسه، يدخل إلى المطبخ ثانية يحضر لنفسه فنجان من القهوة يرتشفه بتلذذ وهو يستمع لإعادة برنامج الصباح الذي يقوم فيه المذيع بحل المشاكل التي تأتيه، يأتي صوت المذيع رخيم وهو يقول:

رسالة من الصديق (أ– أ – س)

أرسل يقول:

يأتي صوت شاب يروى:

– أبى لا يريد أن يجعلني أن أسكن معه في المنزل وهو أيضا كل يوم يلقي إلى بالكلمات التي تجرحني مثل:

– الناس كلها شغاله اشمعنى أنت.

– مع العلم أنى لم أترك بابًا للعمل و إلا طرقته، حتى لقد أخذ منى أحدهم مبلغاً من المال على وعد أنه سيوظفني، وبالفعل ظهر اسمي في كشوف المسابقة وكان رقمي (١٩٩) وحينما سالت قالوا نحن نأخذ عشرة أشخاص فقط كل ما نحتاج إليه،

فكانت الطامة التي لا أدرى منها فرارا حينما علم أبي بأني دفعت كل ما لدى ولم أحصل على شي فخبرني ماذا أفعل.

يأتي صوت المذيع وهو يقول:

لصاحب هذه الرسالة أقول:

– معنى أن أباك يرفض أن يسكنك معه، لا لشيء غير أنه يريد أن يدفعك إلى أن تسعى بجد و إخلاص في أن تكون من ذوي المهن أو الأعمال التي تجعل من الإنسان رجل محترما، فهو يكبرك سنا ويعلم كم هي الدنيا مليئة بالمصاعب، فلعله لا يريد منك أن تصطدم بأرض الصعاب، وأعلم أن دفع المبالغ لم يأت بالعمل، إلا بإرادة الله فكن متوكل على الله، في كل سكناتك وحركاتك واجعل لسانك رطبا بذكر الله، وادعوه و أنت موقن بالإجابة كعلم يقينك أن بعد الليل يأتي النهار .

يغلق المذياع ويلقى نظرة أخيرة على أنوار الشقة ثم يفتح الباب ليخرج، يطمئن على المحمول والمفاتيح، يفعل هذا بوضع يديه على جيوب البنطلون كالعادة، يغلق الباب خلفه و ينزل درجات السلم، يستقل وسيلته المفضلة ويتجه رأسا إلى حيث روتينه الليلي، ليقضي باقي يومه بين "الشلة" في مجلس العظماء من أمثاله وسط صحبته.

* ** ** ** ** *

البرج

إذا سكر قرد أمريكي بعد شربه للبراندي فلن يقربه مرة أخرى، وهو بذلك أكثر حكمة من معظم البشر.

"داروين "

حينما يصل إلى ذلك المبنى المتهالك الشبيه بعشش العشوائيات، التي تزدحم بها منطقة وسط القاهرة ومصر القديمة، ينظر إليه متعجبا هل هذا برجهم العاجي؟

يتجه إلى مدخله الذي لا يكاد أن يظهر من بين الظلام الذي يحيط بالمكان، كالعادة يستقبله ذلك السلم المتهالك الذي غالبا لا يتبين دراجاته من الظلام، يتحسس طريقه يشعل "فلاش الكاميرا" التي بالتليفون، تتبدد الظلام بعض الشيء، ينظر إلى درجات السلم الذي كلما صعد عليه، درجاته تصدر أنينا كأنها تتوجع من كسر في أرجائها، لا يدري هل من كم الذنوب التي يقوم بها كل من يرتقي درجات هذا السلم، أم من كهولة الزمن عليه، لا يدري؟

فكل مرة يقسم أنه سوف يتكسر به أو بأحد رفاقه، رغم أن المبنى كله شبه آيل للسقوط، غير أن هذا السلم دائما ما يجعله يشعر وهو صاعد عليه أو هابطا منه أن ينتابه إحساس بأنه لم يصمد كثيرا، رغم أن الحائط المجاور له تعتريه الرطوبة التي هتكت كثيرا من ستر الطلاء الذي عليه، حتى ظهر الطوب مكشرا عن تجاعيده من فرط تعاقب الزمن عليه، و الذي لم تعد له من آثار التراب أي ملامح لونية، يصل إلى الباب المؤدى

إلى حفلته اليومية، يجده قد تخاصمت ضلفتاه منذ زمن فأصبح مُعوجا دائم الانفراج رغم غلقه.

يستقبله "بواب القعدة "

كما يطلقون عليه بالتهليل و يهتز كرشه، فهو سمين ذو وجه تركت عليه الأيام أثر غائر على خده، حاول أن يجرى عمليه تجميل، ولكن الله أوقعه في أصحاب الذمم الفاسدة، ففشلت العملية، أو هكذا خيل إليه، المهم هو يضحك باستمرار وعنده من اللامبالاة ما يكفي شعب بأكمله، ويمتلك من الرخامة ما يجعله الفيروس الوحيد الذي يجعل اليهود يتركون له فلسطين بدون شرط، فهو يأخذ من الحياة كل شيء بلامبالاة ولا يكترث لأي حدث، ولا تؤثر فيه أي فجيعة، حتى وفاة أمه التي تؤويه هو وأسرته في بيتها، لم يكلف نفسه أن يقيم لها عزاء، بل قام بجمع بعض التبرعات من أهل المنطقة لـ"خرجتها وكفنها" ، وسار وراءها وعند المسجد ترك الناس تقوم بالصلاة عليها و انتظرها خارج المسجد مع بعض الأهالي، وأودعها تربتها ومن يومها وهو "بيتفشخر" بالقسم برحمة أمه، كأنها وسام يتباهى به، وهذه شيمة كل العاطلين أمثاله، وحينما يضيق به الحال يعمل"بالحته" في محل أدوات صيد، وكلما أنجز شبكة صيد

يأخذ ما فيه النصيب و ينعم نفسه براحة يومين، وترك أولاده يعملون في مهن مختلفة، بعدما أخرجهم من المدرسة بعد حصولهم على الشهادة الابتدائية، فهو مقتنع أن الشهادة ليس لها فائدة في الحياة، فمنهم النجار ومنهم السباك ومنهم بائع شاي في أحد المواقف الخاصة "بالسرفيس".

يعنى زى ما يقول :

– الشهادة بتتعلق على الحيطة المهم الصنعة.

يستقبله كالعادة مهللا وهو يبتسم، ابتسامته البلهاء التي تجعله أقرب إلى طفل فاقد الاتزان قائلا:

– أهلا بالشيخ بتاع ربنا يا راجل بتصلي وتحشش ده عيب على دقنك...، ولا أقول لك هي فين أنت من غير دقن أصلا.

يقهقه الحاضرون كالعادة أيضا، فيجول ببصره بينهم كأنه يعدهم فيجدهم كامل العدد.

صابورة بواب القعدة، لطفي محولجي القعدة، زاهر نكدى القعدة وهو أحمد باشا بنك القعدة، لأنه ثرى بعض الشيء عنهم وموظف في وظيفة تكاد تكون مرموقة وكذلك راتبه كبير.

وكما يقولوا عنه:

أستاذ فشخره و تزويغ و محدش يقدر يكلمه لأنه لما يقلب على الوجه الثاني... (سباب وهمجى).

* ** * ** * ** *

هو الوحيد الذي لم تواجهه أي مشاكل أسرية، فقد ترك اهله في بلدته منذ ما يقرب من زمن بعيد لا يعد يدرك مداه، واستوطن في القاهرة واخذ يعمل في مكتب صغير للكمبيوتر، حتى أتته هذه الوظيفة، كم انه لم يتزوج حتى هذه اللحظة، فلقد كان عاشقا من مغرمين الهوى ومن مجروحي الوجد، كم كان يروى لهم عن

(مس إيجبت)هذه الفتاة التي سيطرت على كيانه و أحبها بجنون، و أحبته حبا فاق الوصف، كان عندما تكون ليلته "مصهلله" يقف ويلوح بيديه وهو يترنح ويهتف وهو ينظر إلى الجميع:

– اعلم أنها إن أدركتني ستقتلني، هي مجنونة، مجنونة حتى النخاع، آه يا من في قلبك انهار من دفئ الحب، وأشجارا من رطب العشق، هل أنت واحة الغد يا قلب المنى؟

ينظر إليهم وهو يترنح وقد اعتادوا منه تلك الحركات يهتف كمن يمثل على خشبة المسرح:

– في كل لحظات جنونها عشق من نوع ما، أنت ولازلت تملكين بين جنونك حب لا يوصف، على الرغم من انك متمردة، غير أنك لي قطة تمارس التودد وتجيد مسح شعرها في جسدي، حتى تنثرين الدنيا حولي بهجة، بعدما أظلمت من يأس الحاضر المعاق.

ها قد عدت برغم ما يعتصرني من ألم .....

لم تفهمني رغم ما حظيت به من وجع .....

بدون شك هي تعرف أنى لا اكذب، وإن قلت فلكِ صدق المعني .....

فلا داعي أن تفكري في ظنون لا نجنى من ورائها غير البعاد والفراق.....

أنتِ تعلمين من أكون، فلماذا أنتِ لا تعرفين غير القنوط.....؟

ربما تجمعنا في يوم الأقدار أو تفرق بيننا أيدي القهر في زمن اللامعقول، ولكن حتما سنعود، وأنتِ تعرفين بأني من أكون .....؟

رشفت من شراب العمر الكثير، فهل أمهلتني أن أتذوق طعم الغربة الذي يذوب في فنجاني الأثير، وأسرق من قلب الليل ابتسامة أهديها لكِ على استحياء، علها تكون ومضة في ضياء السماء شغلت العين وأخذت ضياءه.

هو هكذا أغلب الأوقات عندما تكون ليلته بها نوع من الدعابة العالية، وكلما مرت به ومضه من هذا الزمن أو لفته رائحة من هذا العبق الفاني، الذي بتذكره يسرح العقل ويشدو اللحن، وتتركز كل الأعضاء لتقف كوقفات الحداد على ما مضى، فقد أحب هذه الفتاة التي كانت بالنسبة له كل شيء في الكون وحينما ذهب ليخطبها كان رد أبيها:

– أنت مين وابن مين؟

وانهال عليه الأسئلة ولم يعطه الفرصة للرد.

كـان والـدها رجـل مـن أغنـى أثريـاء البلـد وصـاحب مشـاريع ضـخمة، ويريـد أن يزوجهـا لابـن وزيـر أو مسـتثمر كبيـر علـى الأقل، أما هو فموظف فقير مهما كانت معه أموال لم تأت شيئا بجانب الثروة المتضخمة، في لقائه به كان متعشما أن يكون قد فكر في أن يوافق على الارتباط بابنته، انتزع كل كلماته التي تملئ جوفه و ألقاها في وجه أبيها قائلا:

- (كن ابن من شئت واكتسب أدبا.... يغنيك محموده عن النسب،إن الفتى من يقول ها أنذا... ليس الفتى من يقول كان أبي)، وكل لبيب بالإشارة يفهمُ ، وليس كل يملك مالا غنى و إنما الفهم في مغزى العبارات.

ترك المكان وهو في حالة ثورة نفسية، كادت أن تعصف به، وما إن جلس على ضفاف الكورنيش حتى رن هاتفه وأتاه صوتها دافئ كله رقه تواسيه فقال لها:

- في يوما ما عندما سأل ولد رجل حكيم ما هي حقيقة الحب؟.

قال الحكيم :

– اذهب للحديقة وأحضر لي أجمل زهرة

وذهب الولد للحديقة ولكنه عاد خالي اليدين

فقال:

– وجدت أجمل زهرة، ولكني واصلت البحث على أمل العثور على الأجمل منها، وبعدها أدركت أنني قد تجاهلت الأفضل وعندما عدت لأخذها لم أجدها.

فقال الحكيم :

– هذه هي حقيقة الحب،لا تقدره عندما يكون بين يديك ولكنك تدرك قيمته عندما تفقده.

ثم تنهد وزفر بعمق وهو يكمل:

– فليتخيل أي إنسان حينما يقف على حقيقته، وتتلاطم أمواج الحياة على شواطئها؛ حينما تعزف أوتار الشجن لحن الدهشة، حينما يدق نبض المعاني أبواب الصدق، حينما تجوب في كيانات الروح أصداء العبارات، حينما تكون نسائم الجمل تلف الوجدان، حينها .... فقط سنلتقي بها ..... تلك التي لا يمكن لأي إنسان أن ينساها إنها الذكريات، ولكنك لن تكوني ذكرى في عقلي فدائما أنتِ حاضر أعيشه مهما باعدت بيننا الظروف.

تأتيه كلماتها كأنها سيوف تنغرس في قلبه وهى تقول:

– أنا لا أنتظر أي شيء من الحياة غيرك، لم أكن لأهرب من قبل من الواقع....!، كم سرنا على الطرقات التي تاهت فيها

خطواتنا، كيف ترتمي في أحضان الذكريات، ليت روحي لم تسقط في غربة مداك، ها أنا ذا أتمتم كالتي تهذى من حمى بكلمات بلا معنى ، وعند غروب الشمس تعود إلي كل لحظاتي معك لأهرب من واقعي .

أجابها قائلا:

أحلامي كلها مبعثرة مجنونة، تتراءى أمام عيني بين الوهلة والأخرى ذكريات لها واقع التحقيق، هربت....، نعم رغم إن الهروب ليس من طبعي، فأنتِ في عقلي تسافرين بلا موعد وعلى جثث الأيام تفترشين مواعيد اللقاء، فلا اقول الوداع فأنا و أنتِ و الحقيقة واقع ملموس، كوني أولا تكوني فأينما أكون تتجسد روحك معي.

يتنهد وهو يستطرد مكملا:

– الفترة التي مضت من الزمن الجميل الذي عشناه سويا، ترك لنا الذكرى تتخلل في ثنايانا إلي الأبد، وتلك الوخزات التي تصيب القلب.

فاجأه سؤالها:

– هل لنا ألا نحلم رغم قساوة الواقع ؟ وهل حقا تعشقني كما كنت اسمع منك دوما.

توقفت حائرا متمتما بينه وبين نفسه:

– كيف لي أن أجيبها.. هل فعلا لا تعرف.. وكيف لا تعرف..! وهى أنفاسي وزفراتي وكل ضوء عيني، هل حقا لا تدرى كم هي عندي غالية لا تقدر بشيء ، لم أتوقع يوما سؤالها .. لم يخطر لي ببال أن أحاورها في مثل هذا الموضوع.. فهو شيء لا يمكن أن يوصف ولا يقدر بحجم.

قال لها مجيبا:

إن سألوك يوما عليَّ، قولي لهم ما تشائين، ولئن قلت فكثيرا منهم صمتا، وإن صمت فكل الكلمات لن تعبر.

يومها عاد إلى أصدقاءه وهو في حاله غير طبيعية كأنه مس من الجان، كان يهزأ ويتحدث كأنه يخاطب الوهم، ينظر إلى أصدقاءه وهم ينظرون له بنظرة بلهاء من هذه الحالة التي وصل إليها بعدما أخذه الحنين، كان يسحب من المعسل ويترك الدخان يتخلل جزيئاته، وعندما غيب عن الوعي اخذ يتحدث كالذي يسخر من الحياة قائلا:

– مهلا أصدقائي كيف تنسون يوما لفراقها القلب ذاب، ومن فرض غيابها انشغل الفؤاد، انتم وقد كنتم شاهدي على أمري معها، ألا تذكرون يوما فارقت فيه السحاب السماء هي الصفاء،

يوما لم أرى على الأرض التراب، إنها النبت الأخضر، كيف لا تذكرونها؟

يلوح بيديه وهو يكاد يدمع من الحزن.

- كيف تتركون ذكراها هكذا بلا اكتراث؟

مهلا أمهلوني فرصه أخيرة، فقد غلب الشوق واللهفة الجسدين، هي أنثى و أنا إنسان، إن ذهبت تركت في طيف عيني أنوثتها.. وإن ذهبت تركت في ذاكرتها النسيان، كانت وما زالت تلعب في أقسى لحظات عمرها ملحمة التحدي، نقشت على جدار قلبي ملحمة الحيارى، وقتلت في كل حجرات القلب لعنة الصمت، فهل حقا أنتِ محاربة جاءت تقضين على أحلام الوهم.

* ** * ** * ** *

يخطو إلى حيث مكانه بينهم، فينظرون إليه ويداعبونه وهو يمر بينهم حتى يصل إلى مكانه في الجلسة المزاجية.

ينظر "للمحولجى" المسؤول عن مناولة " الجوزه" للحضور وآخر واحد يشد الأنفاس ويغير الحجر.....!

وهو عكس صابوره نحيل جدا حتى أنك تشفق عليه، من أن يسحب نفسا فيختفي، فلا تجد له أثرا، وهو من الذين نجوا بأعجوبة من حادثة مدرسة بحر البقر الابتدائية، وهو أيضا يكثر في الوصف والفشر، عندما يتذكر الأحداث ويرويها عليهم قائلا:

– أنا فاكر الأيام دي زي ما تكون إمبارح.

يوم ما استخدمت إسرائيل سلاح الطيران، وكانت تمهد يومها لدفع الطيران بمحاولة التخلص من بعض الرادارات المصرية ونقط المراقبة الجوية.

و قامت إسرائيل بتوسيع الجبهة وامتدادها إلى مناطق بعيدة جدا.

حينما يتذكر الأحداث ينظر حوله وكأنه غير مصدق أنه بعد كل هذا مازال حيا، كل هذه السنين يحكى وهو غير مصدق ما حدث يومها قائلا:

– أنا فاكر من الجرايد اللي عندي من زمان ومحتفظ بيها، بالتحديد في يوم الأربعاء " ٨ أبريل ١٩٧٠م الموافق للثاني من صفر عام ١٣٩٠ هـ " حلقت خمس طائرات إسرائيلية على الطيران المنخفض، و قامت في تمام الساعة التاسعة وعشرين دقيقة من صباح يوم الأربعاء بقصف المدرسة على طول، بخمس قنابل وصاروخين، وكان الدمار تدمر المبنى كله، وجاءت سيارات الإطفاء والإسعاف لنقل المصابين وجثث الضحايا، وبعدها أصدرت وزارة الداخلية المصرية بيان بالحادث وأعلنت أن عدد الوفيات "٢٩" طفلا.

يبتسم بسخرية عند هذه النقطة وهو يقول:

وقتها وصل عدد المصابين أكثر من "٥٠" فيهم حالات خطيرة ، وأصيب الكثير من العاملين بالمدرسة.

وقامت الحكومة المصرية بعد الحادث بصرف تعويضات لأسر الضحايا.

ينظر لهم وهو يضم شفتيه بغيظ قائلا:

تصوروا وصلت التعويضات "١٠٠" جنيه للشهيد و"١٠" جنيهات للمصاب طبعا مبالغ أكثر من النفس اللي ماتت.

يكمل وهو يتذكر في مرارة قائلا:

– من يومها بلدنا قادرة على العطاء وتعويض الشعب.!، وبعدها جمعوا بعض هدوم وكراريس الأطفال، واللى تبقي من ملفات، وبعض بقايا لأجزاء من القنابل التي قصفت المدرسة، وحطوها في متحف عبارة عن حجرة أو فصل وكتبوا عليها عبارة مكتوبة بخط اليد "متحف شهداء بحر البقر"، وبعد كده نقلوا هذه الآثار إلى متحف الشرقية القومي بقرية " هرية رزنة" بالزقازيق.

يتذكر الجميع يومها وهم يسمعون الراديو كالعادة، في الصباح حينما انقطعت الإذاعة المصرية وجاء صوت المذيع وهو يقول بحزم :

"أيها الأخوة المواطنون ، جاءنا البيان :

– أقدم العدو في تمام الساعة التاسعة و "٢٠" دقيقة من صباح اليوم علي جريمة جديدة تفوق حد التصور، عندما أغار بطائراته "الفانتوم الأمريكية" على مدرسة بحر البقر الابتدائية المشتركة بمحافظة الشرقية و سقط الأطفال بين سن السادسة و الثانية عشر تحت جحيم من النيران.

كان واقع الهجوم عنيفاً وأليما وأشعل حالة من الغضب والاستنكار العارم، فلم يكن أحد يتخيل أنه يمكن استهداف مدرسة أطفال في منطقة ريفية بعيدة تماماً عن أي وحدات

عسكرية، خاصة وأنها أتت بعد شهرين من جريمة أخرى عندما قصفت إسرائيل مصنع أبو زعبل والتي خلفت "٧٠ " قتيلا من المدنيين"

وقتها قيل إنه قام أطفال مدرسة بحر البقر الذين لم يصابوا في الهجوم بإرسال رسالة إلى "بات نيكسون" زوجة الرئيس الأمريكي وقتها "نيكسون" وسألوها:

"هل تقبلين أن تقتل طائرات "الفانتوم" أطفال أمريكا؟! أنتِ الأم لجولى و تريشيا والجدة لأحفاد.. فهل نستطيع أن نذكر لكِ ما فعله زوجك "مستر نيكسون؟!".

ومن يومها انتقل هو و أسرته إلى القاهرة ولم يغادرها حتى توفي والده وتركه، يكمل المسيرة الحياتية إلى اليوم، فهو يعيش في شقة بها غرفتان وصالة يترنح بين أرجائها جسده الهزيل، من مشقة العمل الذي يقوم به، فهو يستيقظ من نومه ويرتدى ملابسه التي تحس أنها لها نصف قرن أو أكثر لم تغسل، فهو يعمل في ورشة للحام ينهكه العمل فيها، حتى أنه لم يعد يقوى على تحمل العمل، وهكذا يعود من ورشته لينعم بقسط من الراحة بعد الظهر و كل ما يفعله بعدما يستيقظ أن يأكل ويصلي الفروض التي غالبا ما تكون عدت نصفها وهو نائم، ثم يخرج يجلس على

المقهى بعض الوقت وفي المساء يأتي إلى "البرج العاجي " ليلتقي بالصحبة، غير أنه راض بحياته ودائما يقول:

– انه أفضل من اللي مات على الأقل اهو عايش.

و تمتم في نفسه و يطلقها صرخة و هو يحدث أصحابه قائلا :

– أنا من يومي فقرى حتى يوم ما نجيت من الموت في المدرسة، قعدت في البيت، وحلف أبويا ما يودينى مدارس تانى. وصحابه هما اللى بقين له من الدنيا.

يأخذ نفس عميق من الشيشة ثم يناولها إلى الجالس بجواره الذي عندما ينظر إليه يبتسم بسخرية ويقول له :

اسحب يا نكدى.

ينظر إليه زاهر النكدى بتاع القعدة وده أول ما يتسطل يفتكر أيام الحروب والشهداء، و أصحابه اللي ماتوا جنبه على خط النار؛ ويبكى ويرتعش جسده، هذا الجسد الفاره على الرغم من تناسقه، كأنه قطع من صخر تجده يرتعش كأنه جسد عصفور،عندما يتذكر أخر حادث له مع صديق عمره في الجيش، رغم انه ممشوق القوام وفاره الطول، وهذا الذي جعله من رجال القوات الخاصة في الجيش، فكثيرا ما قص حكاية صديقه الذي كان بجواره وفجأة اقتلعته قذيفة لتلقى به على بعد

ميل متناثرا أشلاء، لم يدر يومها كيف اختطفته هذه القذيفة من جواره؟.

وهو لم تصبه ؟.

ولا كيف يجمع أجزاء هذا البطل؟.

الذي لازمه طوال الأيام التي حارب فيها العدو في حرب الاستنزاف، يومها يتذكر جيدا كيف كان في أول النهار يدندن معه وهو في غاية الفرح قائلا :

– والله يا أخي هننتصر بإذن الله أنا حاسس بالنصر قريب.

يتذكر يومها كيف كان مع رفاقه أول من كان يتقدم الصفوف في أي عملية خاصة تسند إليهم، وكيف كان يمطر كل من يلمحه من العدو بوابل من نيران مدفعه، وحينما التحقا بفرقة العمليات الخاصة، يوما كان في أحد العمليات هما الاثنين حيث كانا من أمهر و أقوى رجال مكتب العمليات الخاصة، تفوقا في كل التدريبات بجداره، تعرضا للموت بأبشع الطرق في كثير من العمليات، حتى كادا أن يلقيا حتفهما، قامرا بحياتهم في سبيل الوطن، ومن يومها ولم يفترقا.

كان يقص عليهم كيف أسندت إليهما هذه المهمة وقبلوها حتى أتت هذه اللحظة المفجعة وهو ينهار ودموعه تغرقه، يصف

الموقف وكيف كان بجواره في هذه المهمة الأخيرة حتى انتشله الموت من جواره.

حينما يتذكر يوم استدعاهما مدير مكتب العمليات الخاصة وأخذ يتأملهما في تمعن ثم قال ببطء:

– إن ملفاتكما يحملا قدرا من الاستثناءات في الترقيات، و هذا نظير مجهودكما الواضح في المهام التي قمتما بها، ومن أجل ذلك تم إسناد إحدى المهام الخطرة لكما، والتي تعتبر شديدة الخصوصية أيضا، فأنتما تعرفان طبيعة الوضع الحرج الذي نحن فيه الآن، والمهمة لا تتحمل أكثر من شخصين للقيام بها وهى أيضا شديدة الخطورة والسرية والدقة المتناهية، ولا تحتمل أن تنكشف سواء نجحتما أو لم تنجحا عدتما أم لم تعودا.

ينهض من مكتبه ويتجه إليهما قائلا:

المهمة تتلخص في اقتحام مناطق بعينها هناك في قلب الصحراء، وزرع عدة قنابل في اثنين من أخطر الأماكن على الجهة الأخرى، وكل التفاصيل ستجدهما في هذا الملف.

أعطاهما ملف به بعض الأوراق لدراسة طبيعة المهمة، وبعدما فرغا منه قاما بحرقه وانطلقا إلى هذا المصير المجهول.

يتذكر يومها وبعد أن أتما مهمتهما وعلى بعد كيلو مترات قليلة دوت الانفجارات، وانطلقت بعدها بثواني مجموعة من السيارات تجوب الصحراء كالمجانين يبحثون عن من تسبب بهذه الانفجارات حتى عثروا عليهم.

وفي قلب الصحراء تحت حرارة الشمس المحرقة، أخذت ثلاث سيارات تطارد سيارتهم التي استولوا عليها من ورديه كانت تمر في الصحراء، وكانوا قد علموا بها من خلال دراستهم لتفاصيل المهمة، وكانوا ينطلقون بها بسرعة جنونية بعدما دوى الانفجار واكتشفوهم، مخلفة وراءها سحابة عالية من رمال الصحراء، وأخذت تراوغ السيارات الثلاثة في مهارة و سرعة فائقة، تدل على مهارة قائدها وتمكنه من السيطرة عليها، حيث كان من المفترض أن يذهب إلى تمركز بعض ثكنات لجيش بلد شقيق هناك، وتسليم نفسهم ليقوموا بعد ذلك بإرسالهم إلى مصر، تناثرت خلفهم وعلى جوانب السيارة الرصاصات في انهمار عجيب، وأخذ هو يحاور ويناور، والسيارات الثلاثة خلفهم تطاردهم في إصرار وتحدٍ.

أخذ هو يحدث صديقه قائلا:

– واضح أنهم أصروا على اللحاق بنا فقم بتعطيلهم.

وفي سرعة المحترفين استدار وفي يده مدفع رشاش، و أخذ يمطر السيارات الثلاثة في عشوائية مقصودة من ما اضطرهم إلى التشتت، فأصيبت إحدى السيارات في إطارها من ما جعلها تنقلب رأسا على عقب.

واشتعل خزان الوقود بها ودوى انفجارها وفي شراسة أطلق الجنود من السيارتين الباقيتين مدافعهم، و أخذوا في إطلاق القذائف الخفيفة في اتجاههم من ما جعل سيارتهم ترتج في عنف و أصابتهم واحدة و دوى الانفجار.....؟

يهتز جسده بصورة عجيبة حينما يصل إلى تلك اللحظة وينتفض ويصمت، ولا يشعر بنفسه غير بعد فترة قد تستغرق ربع ساعة كاملة، ففي هذه اللحظة الخاطفة كان القدر قد انتشل منه صديق عمره من جواره على حين غفلة، من يومها وهو منهار نفسيا، من ما جعل رؤساءه يقرروا أن يعفوه من أي عمل في القوات الخاصة، بل إنهم كرموه، وتقاعد بعدها برغبته وهو في العقد الخامس من العمر، فهو يعلم أن تلك الحرب العنيفة في التسعينيات كانت لها ما لها من ويلات لم تزل صفحات التاريخ لم تفصح عنها بعد.

كم كان يصرخ من بين دموعه وهو يحكى لهم قائلا:

– فاكرين حفر الباطن! لما كان العسكري الغلبان يعطوا له مرتب ضئيل علشان يضحى بحياته لغيره و الضابط كان بيحلم انه هيرجع بكبشة فلوس بعد الحرب، فقالك أهو الجيش المصري رايح يصلح بين الدول الشقيقة، و في زمان آخر كان يحارب بس بدعوى أخرى و هى "العروبة و القومية العربية"، و هو دلوقتي حرب من الغرب و إسرائيل مقابل المال برضه، بس زى ما بيقولوا "حرب بارده" زي دمهم البارد!...

ينظر احمد إليهم و يغمز زاهر في كتفه وهو يصيح فيهم قائلا :

– يخرب بيتكوا هتبوظوا الليلة مش كفاية الكابوس اللي كان هيأخد روحي.

يقهقهون و كأنهم لم يكونوا منذ قليل في تذكر وغم، و ترتفع الأصوات ويصنع الدخان سحبا تحجب الرؤية بعض الشيء، ويبدؤون في الاستماع إلى دندنات الشيخ إمام و يندمجون مع كلمات عمنا نجم.

" يعيش أهل بلدي

وبينهم ما فيش

تعارف

يخلي التحالف يعيش
تعيش كل طايفه
من التانيه خايفه
وتنزل ستاير بداير وشيش
لكن في الموالد
يا شعبي يا خالد
بنتلم صحبه
ونهتف .. يعيش
يعيش أهل بلدي"
يعلو صوت أحمد وهو يردد بنبرة عالية وراء الشيخ إمام وقد أخذ الجميع يطوحون رؤوسهم:
"يعيش المثقف على مقهى ريش
يعيش يعيش يعيش
محفلط مزفلط كتير كلام
عديم الممارسه
عدو الزحام
بكام كلمة فاضيه
وكام اصطلاح

يفبرك حلول المشاكل قوام
يعيش المثقف
يعيش يعيش يعيش
يعيش أهل بلدي
يعيش التنابله
في حي الزمالك
وحى الزمالك
مسالك مسالك
تحاول تفكر تهوب هنالك
تودر حيات
بلاش المهالك"

ترتص الأحجار وتدور الجوزه بالتناوب على الجلوس، وتغنى مياهها إيقاع السهر والنجوى حتى منتصف الليل، فتتعامد القامات بالكاد وترتعش الأقدام وهى تخطو بتردد إلى الأمام وتترنح إلى الخلف.

يهبطون السلم الذي يبادلهم الترنح بإصدار أنينه مع كل خطوة قدم عليه.

يتناول دراجته البخارية ويمتطيها خلفه أحدهم فبالتناوب كل يوم يقوم بتوصيل واحد إلى منزله.

* ** * ** * ** *

"مس إجيبت"

"Miss Egypt"

"هل يوجد في الدنيا من لا يعرف هذا الذي تربع على عرش المحبين، يأمرهم فيطيعوه يلهب العشاق بسياط اللهفة و

المغرمين بنيران الوجد ويتلذذ بعذابهم ويقول لمن يخرج عن سلطانه:

يا أنت سوف تسير أيام وسنين ولا تعرف انك لى مدين،يا أنت سوف تعبر الجبال والبحار وتهرب أيضا سنين ولا تعرف انك عندي سجين، ستعود، فأنا الحب:

لي من الأسماء الكثير، فالعشق والغرام والوله والاشتياق كلهم جنودي..فأينما ذهبت أسروك.."

يتذكرها وهو ممدد على سريرة، ينظر بعينين سارحتين إلى مجموعة الكتب المرصوصة أمامه على أرفف المكتبة التي تحتل حائطين كبيرين في غرفة نومه، وغرفة المكتب أو الصالون.

يتذكرها:

كانت هي التي تبثه شعاع المعرفة، دائما يستمد من عينيها الكلمات التعبيرات كل الحروف التي خطتها إليه كانت مفاتيح الطلاسم في حياته، كانت كالزمن الجميل الذي مضى وترك له

الذكرى تتخلل في ثناياه إلي الأبد، وتلك الوخزات التي تصيب القلب كلما مرت به ذكراها، أو ومضة من هذا الزمن، أو كلما لفته رائحة من هذا العبق الفاني، الذي بتذكره يسرح العقل، ويشدو القلب، وتتركز كل الأعضاء لتقف كوقفات الحداد على ما مضى، وتنتبه الأحاسيس على دهر بأكمله لا يتحرك.

يومًا قرأ على صفحتها، مع إشارة إليه منشور مرفقا مع صورة لها:

أعترف لك بأنني كنت امرأة عاشقة، لأنني فشلت في الاحتفاظ بك أطول فترة ممكنة، لأنني عجزت أن أكون مثلهن في كيدهن، كنت أقول لنفسي أنت تستحقين اللقب"مس إجيبت"، لم أرتد لك أقنعة الخداع التي يمارسن بها الحب، سامحني لأني كنت عاشقة، كنت عاشقة غبية أو كما تقول طيبة، لم أغير نبرات صوتي، كنت أظن أن الصدق لوحده يكفي، وأن النقاء في الحب أبقي، وأن الغياب إن حدث فالوفاء أقوى، فسامحني يا معشوقي وكل ذاتي فلعل الغد يفاجئنا بلقاء..

وكتبت له على صفحته بعدها قائلة:

يا خوف فؤادي من غدي.....!

راسلها يومها على الخاص قائلا:

"يا خوف فؤادي من غدي، كم ترنمت بها مع أم كلثوم حتى اليوم وهى من مفضلاتى ....."

ماذا أفعل في يوم قصدت مرفأ للبهجة .؟ فطارت مع روتين الحياة بهجتي...

فهل في العين تكمن الأسرار، و لغة العشق وسماء صافيه بلا أمطار.

يتمتم :

دع قلبك ينطق ما يشاء، دع قلبك ينسي كل الأسى.

فرفقا بنا أيها القطار الفاخر ففي قطار المآسي أناس صاروا رفات يحتاجون من يأخذ بيدهم...

يكتب على صفحته الشخصية على "الفيس":

"حبيبتي ومازال السؤال يلح كلما حاولت الهروب منه، هل تكون حقا الحياة مصير لفراقنا..... إن كانت يومها ستكون مثوى لموت الإنسان.....؟"

يعلق على نفسه في "البوست":

"أنا أفكر، إذن أنا موجود، قالها ديكارت، و أنا موجود يا ديكارت"

يعاوده التجلي في محراب تذكرها يكتب على صفحته:

"كلما نتخيل عدم رؤيتنا لما مر علينا مرة أخري تتقطع أوتار تشدو بالحنين، الشدو بما لا يوجد ..! الأطياف التي تمر على الكيان، لا يمكن أن تكون شيء مادي ملموس، بل كثيرًا ما تكون كلمات لأغنية، أو ربما يكون صوت لشخص يتلو آية من القرآن."

يغمض عينيه بقوة، كأنه يضغط على القلب، ليعلن أنه لم يستحق أن يعيش إنسان بدون ذكرى، يترك عقله يسرح ويتكلم بلا قيود:

– لقد أصبح التخيل وهم والتذكر سراب، لا ينفصلان فكلاهما، لم يراهم الإنسان، ولعله يعيش حقيقة ما؟

حينما تقع عيناه على منظر بالأفق لاح في وقت بعينه، أو سحابة ترسم وجه مألوف ...، فتسحبه أقدام الزمن إلى أرض ليس بها غير تربة، تشع منها حبات بألوان ترسم صور مألوفة، وأطياف تعزف أصواتاً ليسبح فيها الإنسان إلى المجهول.....

يسرح بفكره يحاوره عقله:

لكل فرد وجهة نظر في محور ارتكاز الحياة، والذي يضعه لكي ينطلق منه إلى ما يتراءى لعقله من تصرفات وأفعال.

يستدرك محاورا عقله:

حتى الأفعال والأفكار، تكون شاهده على مقدار المعرفة و الثقافة التي نسعى لكي تكون هي أسلوبنا الحياتي، وإلا قد تجر العشوائية في أذيالها كثيرا من الناس إلى هوة عميقة من التخبطات، "أليس الفرق بين العقل والجنون شعرة"، كما يقولون أليست هذه التخبطات التي أخذت بـ"رنيه ديكارت" إلى عالم من التخيلات، التي شككته في وجوده لنفسه، إن هذه الأمور وعدم الثقة بالنفس تؤدي إلى انفصامية، إذن لماذا لا نثق في أنفسنا، ونسيطر على عقولنا ونجعل الدوافع من مكنوننا، لا من تصورات عقول مريضة، إن داءنا ليس عضال ، مرضنا في قلوبنا، يوما حلمت بأن أكون شخصا هلاميًا، أخترق الأشياء ولا تخترقني، أبحث عن متاعب الآخرين ولا أكترث بمتاعبي، أحلم بأن أمتلك الدنيا، ولا آخذ منها شيئا، هي فرصه لحب امتلاك الأشياء، ولكن أكون هلاميا وغيري لا يراني، كيف إذا استعرض قوتي وجبروتي.

ترتسم سرابات وخيالات في أرجاء الغرفة المظلمة، قد يكون هناك من يملك السيطرة على الآخرين بقوة خفية يرتعد يتمتم ثم يبحلق في اللا شيء.

و يتحدث مع مجهول:

أعطني قوة أجتاز بها كل المحيطات، وأعطني فرصة أحارب بها كل الأعداء، أعطني أموالا أرسم بها على الوجه العبوس ابتسامة الفرح، هل الموت كائن ملموس، أم إحساس كائن بين النفوس، يا من تجهل أمور الكون، دعني أعلمك أنى قد مرت بي تجارب الموت، كنت في كل لحظة أستشعره، قريب جدا، هو بين طيات الكتب، بين زفرات الأنفاس، بين الخواطر، بين حيرة التفكير، ليته لم يكون، ليت الأخبار عنه لم تصل إلي عالمنا، ليتنا كنا أو لم نكون أحياء، ليت هذا الموت أتاني منذ فجر التاريخ، تاريخ ميلادي، ولن يعطني فرصه للحياة، ليته فعل، ما كنا تجرعنا من الحياة مشروبها المفضل، الفقد؟، سؤال إجابته في كل خطوة في الحياة، في كل اثر من خطى البشر، في كل لفته من نظرات الإنسان.

تنطلق منه آهة مكتومة، وهو ينظر إلي تمثاله الذي لم يكتمل، محدثا نفسه:

– يا ترى كيف ستكون ..؟ هل حقا سأنجح في إتمامك كما ينبغي..؟

كان عليه حقا أن يبذل المزيد من المجهود والمهارة، لكي يكون حقا طبق للأصل، يعرف جيدا انه لن يستطيع أن يفعل شيئا حقيقيا كلأصل، ولكنها محاولات لجعل الوهم حقائق.

اخذ ينظر حوله لقد استغرق أيام لم يذق فيهم طعم النوم، لقد أجهد نفسه حتى انه لا يقوى على أن يقف على قدميه، من شده الجوع و الإرهاق، ألقى جسده إلي الخلف مستندا على ظهر الكرسي، ثم اعتدل وهو يحاول النهوض، كان الأمر صعبا، فله أيام يجلس وما إن يقف حتى يسارع إلي الجلوس مرة أخري، ليعمل من جديد في تمثاله، اخذ يتحامل على نفسه، وهو ينهض حتى استطاع أن تنفرد قامته بانحناءة، تعكز على ظهر الكرسي، وهو يلتمس الأشياء حوله، حتى وصل إلي غرفة نومه، وهناك بدون أي تصرف ألقى بجسده على السرير دون أن يغير ملابسه، أو ينظر إلي السرير هل عليه شيء أم لا، كان كل أمله هو الوصول إليه، و إلقاء جسده عليه، وها قد فعل فليترك لجسده فرصة افتراس النوم، ولم يمهله جسده أكثر من هذا للتفكير بل افترس وجبة النوم التي أمامه واغتنمها لنفسه.

خيالات وشخوص، و أشكال هلامية تنقض عليه، يزيحها بيديه، و أصوات تنبعث من كل اتجاه، يحس بكلاليب تنقض عليه،

كأنها أنياب وحوش مفترسة، تحاول الوصول إلي لحم جسده، وهو يقاتل للإفلات منها، بلا جدوى فهو يحسها جيداً، يحاول أن يبتعد بلا طائل، يصرخ يجاهد يركل بقدميه ويطوح بيديه ولكن كل محاولاته تأتى بالفشل.

ينتابه صداع يمزق أجزاء رأسه، يمسكها بكلتا يديه، يضغط بكل قوة عليها بلا جدوى، يلجا إلى وسادته التي تقضى معه ليالي الشتاء وزفرات الصيف، كم عاصرت معه أحلاما جسام كان فيها رئيس وملك وإمبراطور.

جسد من الحلم قصور، ومملكة فيها صارع الجبابرة وعطف على الفقراء؛ يتناولها يترجى منها الاستشفاء، يضغط بها على رأسه، ولكن هي الأخرى بلا جدوى.

تغفوا عيناه تنزوي ذاكرته بعيدا يلفها الضباب. يهتز كيانه، يرتجف، يفيق على صوت الآذان، يفتح عينيه، ينهض، يذهب إلى الحمام، يتوضأ، يصلى، تأخذه الروحانيات الربانية، يندمج في صلاته، يجلس ليتلوا التشهد يسلم.

* ** * ** * ** *

الرحلة

محكوم على الإنسان أن يكون حراَ، لأنه ما إن يُلقَى به في هذا العالم حتى يكون مسئولاً عن كل ما يفعله، المرء مسئول مسؤولية كاملة، عن طبيعته واختياراته.

(سارتر)

يفتح عينيه بحذر كالعادة، حتى لا يباغته الضوء الذي يأتي من زجاج الشباك "الفاميه"، ينتبه كالعادة على صوت أزيز المروحة التي تترنح على السقف، يفرك عينيه وهو يقاوم النوم، و جسده في حالة استرخاء، و كعادة كل صباح يجذبه النوم إلى المرتبة كالمغناطيس، ينهض نافضا كل خموله وكسله، ومتغلبا على متعة النوم في الصباح، ينظر في تليفونه المحمول، يجدها تشير إلى السادسة والنصف، فهو فعلا تعود على هذا الميعاد، الساعة البيولوجية قد انتظمت منبهاتها على مواعيده، يترك التليفون على "الكُومُودِينُو " ويجرجر قدميه حتى يصل إلى الحمام، يخطو بكل حذر إلى داخل الحمام، يغلق الباب خلفه يفتح المياه يتناول المعجون يعالج أسنانه بالفرشاة، يتناول الصابونة، يطلى وجهه بالصابون، ويلطمه مرات بالماء، يتوضأ يخرج إلى الصالة، ينتهي من صلاة الضحي، يتناول أحد الكتب من على المكتبة يتصفحه بلامبالاة وتكاسل، يلقى به على أخوته فوق "الترابيزة" كالعادة، ينهض، يحضر لنفسه كوب من الشاي يجلس يرتشف منه على مهل، وهو ينظر في أحد الكتب التي ملقى على المنضدة، يسمع صوت المذياع وهو يعلن عن بدء

البرنـامج اليـومي لحـل المشـاكل ينصـت جيـدا فهـو يحـب أن يسمعه، يأتي صوت المذيع كالعادة ملقيا تحية الصباح قائلا:

–أعزائي المستمعين واليوم مع رسالة مهمة:

رسالة من الصديقة (ر – أ)

أرسلت تقول تقدم شاب إلى خطبتي، وبعد الخطوبة كالمعتاد أن يدرس كل منا الأخر، ولكن الطامة أن هذا الشاب عنده عقدة نفسية، وسبق لـه الخطبـة أكثر من مرة، وفي كل مرة يترك خطيبتـه، لتعلقـه وعدم نسيانه لخطيبتـه القديمـة، وهو الآن يريد مني أن أسرق له بعض مصوغاتى، ويريد منى أن أتزوجه رغما عنى وعن أسرتي التي اكتشفت كذبه وعدم رزانته، فهو يتصرف كالأطفال، ويبكى في بعض الأحيان، فخبرني بالله عليك ماذا أفعل..؟

يأتي فاصل قصير جدا من موسيقى هادئة كانت تتخلل كلمات المذيع ثم يستأنف المذيع كلامه قائلا:

لصاحبة هذه الرسالة أقول :

– الدنيا أكبر معلم للإنسان، يستفيد منها ويخطئ بها، فعلى الإنسان العاقل أن يأخذ العلم منها ويبتعد عن الأخطاء فيها، ويكون إيجابياً أكثر مما ينبغي، ولا يكون سلبياً يتأثر بكل ما

حوله، ولا يتفاعل مع شيء قد يضره، ولو أخذ الإنسان كل ما يواجهه بأنه أكبر مشاكل الكون، لوجدنا أن مسيرة الحياة قد تتوقف يوما، والأمر ليس فيه طامة كما تقولين، فعليك يا سيدتي أن تكوني منصفة في الحكم على هذا الإنسان، ولا تتركي لعقلك فقط التصرف، فإن هذا الشاب يريد من يقف بجواره لكي يستقيم حاله ومعنى هذا إلا نجعل منك كبش فداء، كما قد تتصورين ولكن إن لم تجدي أحداً تبثي له شكواك فماذا كنت تفعلين ؟؟

فهو يريد لمن يثق به، لكي يفضي إليه بما يؤرقه ، واعلمي أن الله هو الذي اختارك له.

يغلق المذياع، ينظر إلى النافذة يرى ضوء الشمس قد بدأ يتوهج، بلامبالاة يتناول قميصا و بنطالا، يرتديهم يتجه إلى غرفة نومه يلتقط الـ(موبايل) ويرش بعض رزاز من زجاجة العطر، على قميصه يتناول المشاطة المستديرة يمررها على فروة رأسه، يلقيها من بين أصابعه، يلبس حذاءه، ويحكه في ظهر البنطلون لإزالة ما علق بوجه الحذاء من أتربة، يتجه إلى باب الشقة يتحسس جيوبه يطمئن على المفاتيح و"الموبايل" يفتح الباب، ويخرج ويغلقه خلفه، هابطا درجات السلم، وكالعادة ينزل ليخوض يوم جديد، يرى وجوه البشر على كل الألوان في

الطرقات، وهو يعبر شوارع القاهرة، يصل لمقر عمله، يبتسم للعامل المستظرف، يترك له الدراجة البخارية، يدلف إلى الداخل، يضع على وجهه "الوش الخشب" كما يقول، يوزع ابتسامة مغتصبة من بين شفتيه، على كل من يقابله، بعد انتهاء عمله، يتجه إلى مطعمه المفضل وفي الطريق، وجد محلا جديد يفتتح وقد قام أصحاب المحل بتوزيع البوستات على المارة، وعمل كرنفال أمام المحل وقد وضع ذلك (الجنتلمان) البلونى، وهو يقف ويداعبه الهواء، وقف برهة ونظر إلى عنوان المحل، كان محل للأكل الحديث بطرق مختلفة، هذا كل ما عرفه من خلال ترجمته للألفاظ الحديثة التي وضعت على المحل، قرر أن يخوض التجربة، ويدخل ليأخذ وجبه علها تنول إعجابه، أوقف دراجته البخارية في المكان المخصص لركن السيارات، واتجه إلى المطعم، وهناك كان في استقباله غير "الجنتلمان" الذى يقف رافعا يده وفاغراً فاه، كان هناك "جنتلمان" بشرى استقبله بابتسامه عريضة أيضا، و أوصله إلى أحد الترابيزات و أعطاه "المنيو"، أخذ ينظر فيه، وهو غير مصدق، ما هذا؟ أسماء ومصطلحات غريبة كتبت بالغة العربية:

"تشيكن سيزر سالاد "

"اورينتال جرين سالاد "

"لينتل سوب "

"بيف ستراجانوف "

"وايت صوص باستا "

"ايتاليان رايس "

"فيليه فريش فيش "

يترجم بينه وبين نفسه:

"خس و حتة فرخة "

"سلطة"

"شوربة عدس"

"لحمة"

"مكرونة بيضاء"

"رز بالشعرية"

"سمك فليه يعنى من غير شوك و مقلى"

يتنهد وهو يشير إلى الجرسون متسائلا:

– أنت من أي حته في مصر .

يبتسم الجرسون وهو يجيب:

– من بولاق.

يبتسم وهو يقول :

– طاب خليها بلدي.

ويركن "المنيو" على التربيزه وهو يقول:

– شوية شربة عدس بقى وحتة الفرخة وخليلك الخس، وطبق سلطه، لو تكرمت يا سيدى.

يبتسم الجرسون وهو ينصرف وأخذ هو يميل برأسه علامة التعجب متمتما:

– عجيب أمر هذا العالم، هل أتحدث الآن باللغة الفصحى معه و أقول له، هل لي بقليل من الملح، حتى لا يتهمني بالأمية.

يأتيه الجرسون بما طلب، يأكل ثم ينظر إليه ويعطيه الحساب قائلا له:

– كانت أنواع الأكل لديكم شهية.

ويبتسم وهو يخرج من المحل، و يمتطى دراجته مجتازاً شوارع وسط القاهرة، منحرفا يمينا ويسارا وهو يتخطى السيارات تارة، والناس السائرة تارة أخرى، ويزوغ من أماكن تواجد شرطي المرور، حتى يصل إلى منطقته التي يأوي إليها لينام في هذا المسكن الذي احتواه سنين طوال.

* ** * ** * ** *

يصل إلى منزله لينعم بقسط من الراحة في القيلولة، يرتقي درجات السلم، يصل إلى الدور الذي يسكن فيه، يفتح باب شقته، يُلقي بالجريدة التي يداوم على شرائها وهو عائد إلى البيت بعد انتهاء عمله، يلقها وسط أكوام من الجرائد والمجلات، يتجه إلى غرفته المفضلة، يضغط مفتاح النور لتضاء الغرفة كما يضغط بتلقائية على مفتاح المروحة التي تبدأ في إصدار أزيزها، ينظر إلى المكتبة التي تشبه المرأة الحامل المصلوبة، ينظر إلى ساعته المعلقة على الحائط.

(الثانية عشر وخمس دقائق)

يبتسم فهي دائماً على هذا الموعد، وكان القدر أعلن معها عن موعد خفي لا يتغير، يلقى نظره أخيرة على الجدران التي نقشت بكعوب الكتب، ويسرح متأملا تمثاله الذي لم يكتمل، ثم يلقى بجسده على السرير، ليغط في غيبوبة نوم كما يسميها في كثير من الأحيان، يفتح عينيه بصعوبة ليجد نفسه مقيدا وقد التفت ملاءة السرير حول ساقيه ويديه وحول خصره، يفتح عينيه عن آخرهما وهو يفركهما، يحرر جسده من ملاءة السرير، يأتيه صوت المؤذن يفيق على آذان المغرب، ينهض يحاول الاتزان يستند إلى قوائم السرير، يتثاءب وهو يلوح بيديه يمينا ويسارا كالعادة، ويرفع جسده ثم يخفضه، يتحرك في اتجاه الصالة يتذكر يعود إلى حيث المطبخ، كالروبوت المبرمج يفعل هذا التصرف بدون تفكير، يتناول بعض من الآكلات السريعة التي تكتظ بها الثلاجة، يحضر لنفسه كوب الشاي الذي يوقظه قبل أن يأخذ دشا ويُعد قهوته المفضلة، يضع فتلتين شاي يغلى البراد يتناوله يصب منه الماء المغلي، يتجه إلى الصالة يضع الكوب على "الترابيزة"، يتجه إلى الحمام، يشعل السخان، يأخذ دشا، يخرج في سرعة إلى الصالة يحتسى رشفات من الكوب الذي قارب أن يبرد، يتجه إلى الغرفة يرتدى ملابسه، يدخل إلى

المطبخ ثانية يحضر لنفسه فنجان من القهوة يرتشفه بتلذذ، وهو يستمع لإعادة برنامج الصباح.

يأتي صوت المذيع وهو يقول:

رسالة من الصديق (أ– م – ع)

أرسل يقول:

– .....

لم يعد يستطيع الاستكمال، حيث رن تليفونه المحمول، وأتاه على الطرف الآخر صوت أحد أصدقائه، يستعجله على المجيء، يلبس حذاءه ويحكه في ظهر البنطلون لإزالة ما علق بوجه الحذاء من أتربة، يتجه إلى باب الشقة يتحسس جيوبه يطمئن على المفاتيح و"الموبايل" يفتح الباب ويخرج.

يستقل وسيلته المفضلة ويتجه رأسا إلى حيث روتينه الليلي، ليقضي باقي يومه بين "الشلة" في مجلس العظماء من أمثاله وسط صحبته، في جلسة الأحبة في برجهم العاجي.

في يوم من الأيام قرروا أن يذهبوا لمولد أحد الأولياء تحمسوا للفكرة، نظر إليهم وعيناه تلمع قائلا:

– ايييه ياما سافرت بلاد كتير، وشفت بلاد اكتر، عرفت ناس وحبيت اكتر ، واكتر حاجه بتأثر فيا السفر والترحال.

نظر إليه أحدهم وهو يقول:

– أنت رحت هناك تعرفه؟ يا ريت بدل ما نروح إسكندرية وبلاد السواحل.

أحسوا إنها مغامرة مختلفة إلى الجنوب، كالتي قام بها في بداية شبابه، يتذكر ذلك اليوم الذي ترك المدينة بكل صخبها وقرر هو وصديق قديم أن يغزو صحراء الجنوب، يومها ذهبا وكان يوما ممتع فعلا، من بداية الطريق إلى أن وصلوا إلى المنطقة التي حددوها مسبقا، يومها تركه صديقه واعتلى أحد الجبال وصعد هو وراءه وتركوا سيارتهم، وبعد نزولهم لم يجدا السيارة ولا متاعهم، وظلوا في هذه المنطقة يوم كامل، حتى رأوا سيارة نقل كبيرة فأخذوا يشيرون إليها، فلم يتبينوا من صاحب السيارة أنه سيتوقف، مما جعل صديقه يقف أمامها، وكاد الرجل يدهسه لولا أنه اخذ يصيح ويلوح له بأنهم تائهان، فتوقف الرجل والتقطهما من الطريق أخذا يقصان عليه حكايتهما فضحك وهو يقول:

– وهو فيه حد يجى هنا يا ولدى، كنتوا روحوا الغردقة ولا راس غارب، ولا سفاجا، ولا أي حته، لكن تيجوا هنا من غير دراية، و في المنطقة دي بالذات ليه؟، ده طريق لسه مافتحهوش لسه جديد، ومليان خطر و أنتم أغراب .

يومها كانت مغامرة تستحق أن يفقدوا السيارة، غير أنهم لم يندموا وبعدها بعدة أشهر سافر صديقه خارج مصر ولم يعد من يومها، وانقطعت أخباره.

وتم الاتفاق على يوم الرحلة، وخلال أسبوع، اخذ أجازة من العمل، وجهزوا أمتعتهم، وقام أحدهم متطوعا بشراء كميات كافيه من الفحم والمعسل للرحلة، وتطوع الثاني بجمع عدة السهرة، الجوزة، والحجارة، و"خلافه"، وهو تعهد بالمصاريف كالعادة.

في منتصف نهار اليوم التالي، تجمع الأصدقاء في مكان السيارة التي ستقلهم إلى وجهتهم، وفي آخر الليل كان العدد قد اكتمل وانطلقت السيارة، يصحبها الصخب إلى حيث المقام ومولد ولي الله.

* ** * ** * ** *

عالم سرمدي

أَحْياؤُنَا لاَ يُرْزَقُونَ بِدرهمٍ
وبألفِ ألفٍ تُرْزَقُ الأمواتُ
منْ لي بحظِّ النائمين بِحُفرةٍ
قامَتْ على أَحْجارِها الصَّلواتُ
يَسعَى الأنامُ لها، ويَجري حَولَها
بَحْرُ النُّذُورِ وتُقرَأ الآياتُ
ويقالُ:هذَا القُطْبُ بابُ المُصطَفي
ووَسِيلَةٌ تُقضَى بهَا الحاجاتُ
(حافظ إبراهيم)

(مدد يا صاحب المدد)

"شي لله يا شاذلي مدد يا سيدى عبد الرحيم شي لله يا دسوقي"

"شي لله يا عبد القادر شي لله والقلب حاضر .. شي لله يا العيدروس شي لله محلى النفوس"

"مدد يا آل البيت وحبايبه"

هكذا انطلقت الحناجر بهتاف غير عادى و أيضا بمنظر غير عادى، والسيارة تقترب من هياكل غير واضحة في رحاب الصحراء والناس داخلها ترتج أجسادهم وتقفز مع كل مطب تأخذه السيارة.

كانت أشعة الشمس قد قاربت على الانحسار وأخذت حرارتها تخف تدريجيا رغم العرق الذي يتصبب على جبين كل الجالسين داخل العربة، كانت الرحلة أقرب إلى الانتحار في هذا الجو غير الطبيعي، لم يصدق نفسه وهو ينظر إلى الصحراء التي تحوط السيارة من كل الجهات، لقد كان الجو في العاصمة جميل جدا، فكيف انقلب فجأة إلى هذا الهجير لم يحس بهذا الحرارة إلا حينما أخذت السيارة تتجه إلى الصحراء موغلة في الجنوب، أقسم بينه وبين نفسه ألا يعود في السيارة إن كُتبت له العودة،

سوف يستقلها إلى أقرب بلدة بها سكة حديد، ومن هناك يستقل أي قطار حتى وإن كان قطار البضائع، تقترب السيارة من المباني التي اتضحت معالمها، فكانت عبارة عن مسجد بعيد شامخة مآذنته، والكثير من الخيم، وبعض البيوت المتناثرة هنا وهناك، ما أن توقفت السيارة حتى انطلقت الحناجر بصوت عال مرددة:

"مدد يا صاحب المدد "

وأصوات أخري تصيح:

" جينالك يا سيدنا جينالك والدنيا بهدلتنا"

أصوات نسوة ترتفع بالصياح:

"شي لله يا شاذلي مدد يا سيدي عبد الرحيم شي لله يا دسوقي"

"يا شاذلي يا أبو الحسن يا شاذلي

يا باب علي حملي كادني

ساكن المغارة وتجيك جميع الذَّكَّارةْ يا سيدي

الفم بمرارة و أنا حملي

كادني"

"مدد يا آل البيت وحبايبه"

أخذ ينظر إلى للأمتعة وهى تقفز وبينها الأجساد إلى الصحراء الواسعة، التي انتشرت في ربوعها الخيام وبعض المباني المصنوعة من الطين متفرقة، وعلى مرمى البصر يقبع المسجد على هيئة مثلث، رأسه إلى الشرق وقعدته في اتجاه من قدموا من الجنوب والغرب إلى رحاب الصحراء.

يلتفت يمينا ويسارا لم يجد من يسأله، حتى رفقاء رحلته، الكل أخذوا يلهون ويتصايحون كما يفعل الكثير، كأنهم مجاذيب، تدور عيناه وسط رأسه، يلتفت خلفه و أمامه تزوغ عيناه، العرق يتصبب على جبهته، الازدحام يتكاثر من حوله، رائحة العرق التي تزكم الأنف، الأجساد المترهلة من السمنة، يكسوها جلباب يغمره البلل من أثر العرق، تحتبس أنفاسه، يضع يده على أنفه ليحجب عنها روائح الأنفاس المختلطة، بروائح العرق وغبار الناتج من وقع الأقدام وهى تجول وتصول من حوله، يصرخ وقد كمم فمه وأنفه مناديا على أصدقائه دون جدوى، ينسلخ من بين القوم، يلتمس طريقا فيه هواء ليتنفس، يقاتل، يدفع بيديه ويزاحم بقدميه، حتى يصل إلى مخرج، من بين الأشخاص يتنفس بعمق، تدخل ذرات من التراب إلى أنفه، يعطس يهرول إلى

اللاشيء، يسمع من خلفه من يناديه، يلتفت يجد أصدقاءه وهم يهرولون إليه يصرخ فيهم قائلا :

– والله كانت شُورَهْ مهببه إلهي يورينى فيكم يوم.

يتجهون إلى بعض الخيم، فيرحب بهم أصحابها، غير أنه لا يشعر بطمأنينة، رغم قيام أهل الخيم والبيوت المتفرقة باستقبالهم، حيث انطلق من الركب معهم الكثير، وذهب الأكثر إلى حيث رحاب المسجد، تنتقل الأقدام سيرا وهرولة إلى حيث المسجد، الذي أخذت أبوابه تبتلع الوافدين وتهضمهم داخله، لم يجد بد من أن يجرب معهم لحظة الجنون والمجون، اندفع بين أصدقائه الذين التفوا حوله وتصايحوا، واندفع الجميع إلى اتجاه المسجد و ابتلعتهم أيضا الأبواب، في الداخل كان المنظر مبهرا الزخارف والأضواء، التي تنبعث من النجف والقناديل الكهربائية، على الرغم من أن النهار هو الذي يحيط بالكون، غير أن المسجد من الداخل كأنه غير طبيعة الكون، ففيه احتياج إلى الضوء، ربما من كثرة الناس، أو ربما من "الأرابيسك" التي على الشبابيك، ينظر يمينا ويسارا في تعجب، يرى حلقات كبيرة من البشر يلتفون ويدندنون، وهم يطوفون في حلقات واسعة وكلما أتموا لفة

توقفوا، أخذ شخص يشبه في هيئته المجاذيب يزعق بصوته، وهو يلوح، والجميع يرفعون أيديهم، وهم يتصايحون بنفس الكلمة:

"مدد يا صاحب المدد"

"شي لله يا شاذلي شي لله يا سيدى عبد الرحيم شي لله يا دسوقي"

"مدد يا ال البيت وحبايبه"

و كأنه في حلم تزوغ عيناه، ويحس بدوار يلفه، يقاتل وهو يشق طريقه بين كتل اللحم البشرى الذي يندفع إلى الداخل، يحاول أن يسلك طريق الخروج يلتمس "الأكسجين".

فلقد كاد أن يختنق، كم تمنى أن يلفظه المسجد عبر أبوابه إلى الخارج، أخيرا بعد معاناة استمرت أكثر من النصف ساعة، وصل على الباب انتابه إحساس بأنه سيسقط و أحس بشيء يقبض على ذراعه، حاول أن يلتفت ولكنه لم يستطع، فلقد وجد نفسه خارج المسجد، يرى ضوء الشمس يتحسس رمال الصحراء كم اشتاق للشمس ولرمال الصحراء.

وقف يتعجب من كل الأفعال وهذه المواقف.!

حيث يعلم لماذا أتي؟ ومن أين أتي؟ وماذا سيرى.....؟

ولكن الأمر كان بمثابة له المفاجأة، حيث لم يتوقع كل هذا العدد من الخيم والبيوت الصغيرة، على أطراف مرمى البصر، وهؤلاء الناس الذين أتوا معه والكم الهائل الموجود هناك، السلبيات والمسلمات، تلك التي تسيطر على البشر وكان الدنيا قد خلقت لهم فقط، وكل ما في الكون من مشاكل قد انحصر في مشاكلهم، لم يعلموا أو لم يريدوا أن يعرفوا أن كل البشر لديهم هموم.

من بين الدهشة والغضب، وجد أناس يعفرون وجوههم بالتراب قرابة المسجد، ومنهم من يبكى، وآخر ينتحب، والنسوة هؤلاء اللاتي لا مكان لهن، بين هذا الكم الهائل من الرجال، وهذه الصحراء التي لا قبل لهم بها، كيف هانت عليهم أنوثتهم، وكيف تركهم رجالهم يتحملون عناء ووعثاء هذه الرحلة، إلى حيث هذا القطب، ولكن ان كان كل هذا يحدث رغم مرورنا من القرن الحادي والعشرين، إذا كيف كان الحال قبل ذلك.....؟!

يأتيه درويش، يتمتم ويلوح بسبحه الكثيرة، ويجذبه من يده بقوة إلى حيث إحدى الخيم، وقد وضع على مدخلها فروة خروف وعلى جانبها دماء "متجلطة"، تكاد تكون شبه جافه، وفي الداخل فوجئ بأواني كثيرة، وضعت في وسط الخيمة، وعلى

جانبها اصطف قوم على كل شكل؛ نساء ورجال، أطفال وشيوخ، كلهم لوحوا له بالجلوس، جلس القرفصاء مثلهم، ناوله أحدهم رغيف خبز بلدي ضخم بالنسبة له، من هذا الذي يصنع في الجنوب حيث صعيد مصر، وآخر وضع أمامه طبق لحم، وآخر طبق حساء وملعقة كبيرة، و أخذت مجموعة من الدراويش، بالدوران حولهم، رأى درويش هو واثنين من الدراويش يأتون بين الحين والآخر، برجل أو امرأة أو شيخ، وأخذوا يتناوبون عليهم بطعام وشراب.

هذا ماء.....

وهذا لحم .....

وهذا حساء.....

و آخر أتى بطبق كبير من الأرز المختلط بالخبز البلدي، وتفوح منه رائحة الثوم والخل، وعلى "أطراف الصونيه" قطع تتخذ أشكالا غريبة غمز الجالس بجواره

قائلا :

– الفته حضرت.....!!

نظر إليه فغمز بعينه كأنه يعرفه ويدرك حجم ما قاله

فكرر:

– الكوارع يا سيدى.....!

ولوح بيده في حركة بهلوانيه قائلا :

– مدد يا صاحب المدد مدد يا مولنا.

ينظر إلى أصدقائه الذين أتوا معه فوجدهم، منهمكين في الأكل، وذلك السمين بواب القعدة، يكاد أن يختفي من أكوام الطعام التي أمامه، على الرغم من ضخامة جسده، وهو مقبل على الأكل بنهم، كأنه لم يأكل منذ زمن.

بعد الأكل يخرجون فيجد الساحات تزدحم حول المقام، وبدون إنذار تجد الكل يسرع ويتخبط ويهرول يسال :

– هو فيه ايه

الواقف بجواره يقول:

– المداح وصل

– المداح المداح....؟

يردد بين نفسه:

– في بلدي كلهم مداحين، ولما لا، الكل بيمدح بس الفارق ده مداح الأموات، و الأخريين مداحين الأحياء، يعنى نفاق .....؟

يردد قول الشاعر :

- أَحْياؤُنَا لاَ يُرْزَقُونَ بِدرهمٍ **وبألفِ ألفٍ تُزْرَقُ الأمواتُ
منْ لي بحظِّ النائمين بِحُفرةٍ ** قامَتْ على أَحْجارِها الصَّلواتُ
يَسعَى الأنامُ لها، ويَجري حَولَها** بَحْرُ النُّذُورِ وتُقرَأ الآياتُ
ويقالُ:هـذَا القُطْـبُ بـابُ المُصـطَفي **ووَسِـيلَةٌ تُقضَـى بهَـا الحاجاتُ.

* ** * ** * ** *

يرتفع صوت المزمار إلى جانب صوت الرجل يصدح وهو يردد:
"آل البيـت ..... آل البيـت ..... اااااااال البيـت .... لجـل النبـي ..... لأجل النبـي يـا ال البيت .... ال البيت .... أهل البيت
شيخ العرب .. سيدي مرسى .. يا أبو العباس يا بصيري .. سيدي جابر .. لأجل النبي .. أبو العيني .. يا سيدي إبراهيم يا دسوقي
يا ستي صباح .. نظره ومدد
يا سيدنا الحسين.. شيخ العرب
عم يا سيد .. يا أبو عبد العال

سيدى مجاهد .. نظره ومدد ..

يا سيدنا الحسين ..

ماما يا كريمه ..

يا سيدى على ..

زيد العابدين ..

جد الإشراف..

نفسية العلوم .. يا ام كلثوم .. يا نبويه

يا ال البيت .. عم يا روبي .. ساكن الفيوم

ببنى سويف .. سيدي أبو الليل

جلال الدين .. يا أسيوطي .. يا بحر العلوم

.. يا قمر أبو تيج

عم يا فرغل

يا آل البيت

سلطان الصعيد .. سيدي أبو القاسم يا طهطاوي

العارف بالله يا سوهاجي

سيدي عبد الرحيم يا قناوي

سيدي أبو الحسن يا شاذلي

أبو الحجاج .. ساكن الأقصر

يا ليلة ليلة يا عين..

مدد مدد من غير عدد"

يلتفت ببصره يمينا ويسارا، وهو يلتفت يقع نظره على المسجد يجد دوائر تصدر منها همهمات غير مفهومة، يقترب بعض الشيء، يجد الكثير من البشر مع اختلاف أجناسهم وأشكالهم، يلتفون حول رجل أو اثنين، وربما أكثر، فمن كثرة الناس المكونة للحلقات ، لم يتضح عدد من داخلها تعلو الهمهمات والتمتمات .

يسال من بجواره:

– هو فيه ايه.....؟

يجيبه أحد الواقفين :

– بيقروا عدة ياسين .

يسرح بخياله:

_ ياااااااااااااااااه.

– عدة ياسين.

انه يذكر ما يسمى"بعدة يس" وتقرأ بنية الانتقام من الشخص الذي يظلم الناس، وهى المعروفة بأن "تقرأ آية يس ٧ مرات" وتكملة القراءة إلى"وذلك تقدير العزيز العليم " " ١٤ مرة " وتكمل القراءة إلى سَلَامٌ قَوْلاً مِن رَّبٍّ رَّحِيمٍ" " ٧ مرات " وهكذا إلى

"أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ "

ويقرءون الدعاء بعد قراءة السورة .

تعلوا الأصوات من حوله مرددة :

" اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله بقدر حبك فيه وبجاهه فرج عنى ما أنا فيه "٧ مرات" وبسر بسم الله الرحمن الرحيم "يس والقرآن الحكيم " وبمن اخترته للنبوة والرسالة من خلقك أجمعين ، وبجميع ما جاء به سيدنا جبريل عليه السلام "تنزيل العزيز الرحيم " ، وبخفي أسرار الحروف والأسماء والكلمات التامة.."

يتذكر امرأة عويس صاحبة المنزل الذي يسكن فيه في بادئ الأمر حينما كانت تشكوا أهل زوجها حينما ظلموهم وطردوهم من البيت واستولوا على المحل، وكيف أنها ذهبت إلى قسم الشرطة وعملت محضر وقام رجال الشرطة بمعاينة المحل والبيت وتمت الإجراءات وفي النيابة كان الحكم يبقى الوضع على ما هو عليه، وعلى المضرر اللجوء إلى القضاء، صرخت وندبت وتسولت من الناس أجرة المحامي وفي النهاية كانت شكوتها إلى الله، وذهبت إلى المقامات ونذرت النذور التي كانت

تتسول قيمتها من الناس لتوفي بها النذور وفي النهاية أتت إلى هذا المكان كما نصحوها وقرأت "عدة ياسين" في هؤلاء الظلمة وعادت وهى مليئة بالآمال و الفرحة وما هي إلا أيام، حتى توفي عويس وندبت حظها على فقد سندها وبعد أكثر من شهر توفي شقيق عويس الأصغر وعلى أكثر هذه الحادثة قرر باقي الإخوة بالتصدق على أرواح أشقائهم فتركوا البيت لزوجة عويس وزوجة شقيقة الأصغر.

تختلط الأصوات والهمهمات تعلوا الصيحات والأدعية هرج ومرج صدق اللي سماه مولد.

يجذبه صديقه منتشلا إياه من وسط هذا الزخم والفكر الذي كاد أن يقضى عليه من كثرة الزحمة وهو يقول:

– تعال تعال مالك أنت وكل ده.

يلوح قائلا:

– يا عم أنت اصبر ده فيه ناس بتقرى عدة ياسين، هي برضه لسه قاعده الحاجات القديمة دي .

يقهقه صديقه قائلا :

– لسه كل حاجه قاعده، هنا التاريخ زي ما هو محلك سر، خصوصا في البلاد دي، حتى الاعتقاد بالنداهة والأشباح والأسياد والخرافات .

يلوح بيده قائلا:

– ده جريمة ذنب الأطفال دي ايه، يملئوا عقولهم بالمعتقدات والخرافات، اللي لا تضر ولا تنفع.

يتمتم: هذه المعتقدات ستؤثر في نشأة الأطفال، وصياغة عقولهم، بطريقة تجعل منهم أشخاصا متواكلين على أهواء الخزعبلات ومن يخدمها، ويقضون على التفتح العقلي على أمور دنياهم التي ملئوها بظلمات وجهل إنها من السلبيات وعدم الفهم..

يلتفت إلى باقي أصدقائه وهم منهمكين في إيجاد مكان لأنفسهم في إحدى "الغرز" هذا الشيء الذي يشبه المقهى.

يلوح أحدهم قائلا:

– لسه ما شربناش ولا اتصطلنا خلص كلامك علشان أنت بتفوقنا بالكلام الغريب ده.

نظر إليهم وهو يجلس معهم على الحصير المصنوع من القش"العبدانى"، الذي تنبعث منه رطوبة تكيف الجو، في حرارة

الصحراء، و ليالي الصيف المقيتة، في هذه البيئة الصحراوية، التي تتوحد معالمها بالجبال والرمال، ينظر إلى التجمعات الدائرية من الرجال والنسوة، حيث يجلس الرجال وبعض النساء يحتسون الشاي المغلي المستوي على "الدميسه"، وينفثون دخان "الجوزه أو البورى" في الهواء باستمتاع، و تتفافز حولهم الأطفال في طمأنينة، ثم يلتفون حول تجمهر النساء يستمعون إلى أحلى وأجمل القصص والحكايات، من بعض أهل الريف أو عن كرامات صاحب المقام.

ينتزعه من تأمله ويشير إليه أحدهم قائلا:

– يا عم سيبك من فلسفتك وتعالى، ده هنا في صنف هيعجبك .

يتمتم متعجبا:

– صنف .....؟!

يرد احدهم :

– ايوه ده على كيفك.

يلوح له وهو ينظر على من بجوارهم:

– صنف ايه يخرب بيوتكم أنتوا نسيتوا احنا فين.

يقهقه صاحب الكرش الممتلئ قائلا :

– أنت ما تعرفش، ده هنا كل اللي أنت عايزه، شايف الحريم دول .

يلتفت إليه في غضب :

– أتنيل واسكت، ولا أنت عايز تُسخط هنا، يا عم ده هنا في مقام و ولى.

يبص إليه المحولجى ويقهقه:

– انت اللي مش عارف حاجه ده موووووووولد وصاحبه غايب، أنت عارف نص الناس دى، جايه تتفسح يا راجل صاحب المقام مش مدفون هنا أصلا .

ينظر إليه باستغراب قائلا :

– امال فين يا فتك .

يبتسم وهو يشير بيده:

– في جنوب الصحراء، يعنى أخر الدنيا.

يقول له باستغراب:

– امال كل الظيطه دى هنا ليه .

يلوح له صاحب الكرش

قائلا:

– دى عاده، ان الناس تيجى تزور سيدنا، فيتجمعوا هنا جنب البير بتاعت الميه، علشان هناك لا ميه ولا نور ولا مكان الناس تقعد فيه، اصل المقام وسط صخور.

يتمتم:

– والجامع وكل دول بيتمسحوا في الوهم.

اخذ يقهقه بصوت مرتفع وهو يلوح بيده غير مصدق.

فيلتفت إليه احدهم وهو يربت عليه قائلا:

– هون على نفسك يا رجل، بلاش هتفضحنا يخرب بيتك، انت عارف بيقولوا ان الفكره دى عملها واحد زمان، بنى "طواف" من البوص حولين البير، وعمل ضريح هنا وسماه على اسم سيدنا، ومن يومها والناس نسيت هناك وبتيجى هنا.

ينظر إليه وهو يقول:

– يعنى ايه ..؟

يبتسم له قائلا:

– يعنى هنا العربده اللي الناس بتعملها، لو فيه ولى، كان اتخسفت بيهم الأرض، بص على الحشاشين اللي حوليك وانت تعرف.

أتاهم القهوجي أجش قائلا :

– تشربوا ايه يا افنديه .

اشار إليه بواب القعدة وقال له :

– هتلنا جوزه على كيفك وكرس الحجارة ونعم الفحم ومتنساش شاي حبر كوبيه.

نظر إليه وهو غير مصدق ما يجرى حوله مستغربا طريقة صديقه التي تحدث بها، فهو يعرفه ويعرف أسلوب كلامه، غير ما تكلم به مع هذا الرجل صاحب الصوت الأجش في حين أومأ القهوجي برأسه علامة الفهم، وذهب وبعد قليل أتاهم بما طلبوا.

وتناوبت الأنفاس، تلهب سواد الليل، وصوت الضحكات يعلو في أرجاء الصحراء حولهم، وكل مجموعه منهمكة فيما بينهم يلهون.

ثم تأخذهم غفوة فينامون مكانهم تلفهم رياح خفيفة تتخللها بعض ذرات الرمال التي تجوب الصحراء مصطحبة الرياح في جولتها الصحراوية .

* ** * ** * ** *

يفيق منتزعا نفسه من حالة الخمول والكسل ، يسمع صوت الآذان معلنا مولد فجر جديد، يغمز أصدقاءه قائلا:

– يا عم قوم أنت وهوا، الفجر هيفوتنا يخرب بيوتكم، الصلاة هتفوتنا.

يتركهم بعدما فشل في إيقاظهم ويتجه إلى المسجد تتعثر خطواته ، في الرمال ومرة تخوض في بعض الحفر المكونة برك المياه التي لم تجف بعد، و في الأجساد المتكورة التي تغض جفون أصحابها، متلبستها حالة نعاس شديد، و المنتشرة بغير انتظام في كل مكان.

بعد الصلاة جلس يحصى الغادين والرائحين في هذا المكان الغريب، بطرازه القديم الذي يعود إلى قرون مضت، ينظر بتعجب من صفوف البشر وكل منهم بيده سبحة خشبية طويلة، يتمتم بكلمات مبهمة أو لعلها أوردة، المكان يزدحم يتلفت حوله في دهشة، كلهم يتمتمون بنبرات عجيبة، يستعجب من رائحة البخور الجميلة التي تملأ المكان، بدون أن يرى مبخرة في أي ركن، أو في يد أحد ولا يرى أي انبعاث لدخان في أي مكان، تتردد كلمات سيدنا مولانا أخذ أحد الجالسين على مقربه منه، يتململ كالجالس على بركان، فجأة يمسك مسبحته ويرفعها عالية وهو يصرخ بصوت مبحوح.

قائلا:

– قوموا لقد حضر.

ترتفع من الحناجر الكلمات، و الأدعية، وتصدر من الأكف الأصوات الناتجة من اصطدام السبح المدلاة من كل يد، وتهرول الأجساد، وتتسابق الأقدام في اتجاه واحد، نحو باب كبير في جانب صحن المسجد.

نظر حوله فلم يجد أحدا واقفا مكانه، سار في اتجاه الباب، ليجد ساحة بأرضية صخرية تطل عليها شرفات دائرية، بها باب يؤدى إلى الخارج، على أعتابه وقف مجذوباً يصيح في كل من يقترب منه.

قائلا:

– هات.....؟

فمد بعضهم يده ببعض النقود.

فيصيح مهللا ويلوح بيده كالمهدد بشيء.....؟

ومن حوله يهرول الجميع، وهم يتصايحون وأيديهم تلوح بالسبح، فجأة يجذبه التزاحم و الأجساد وهى تتحرك، فيتحرك بينهم بلا إرادة، ليصل إلى ركن فيه غرفه بها هيكل خشبي، مغطى بقماش من الحرير مطرز بخطوط ذهبية، وأخرى فضية، والغرفة محاطة بقضبان حديدية، كل زوج منها له لون ذهبي، أو لون فضي،

وتفوح في أجواء المكان رائحة العطور الذكية، وهناك بجوار الضريح جلس شيخ عجوز بملابس بيضاء، وعلى ملامحه ترتسم الطمأنينة وأمامه سله خزفية، بها كثير من السبح، فأعطاه واحدة وابتسم فغمزه أحد الذين يصطفون حوله.

قائلا:

(لقد بوركت.؟)

يعتدل ويسير في اتجاه الداخل، ويتجول داخل المسجد، وهو غير مصدق ما يرى من أفعال البشر في هذا العصر الذي وصل إلى ما وصل إليه من التقدم، يسمع أصواتاً تأتى من بين حلقات الذكر وأدعية تتخلل عقله جسده.

"اللهم لا تشمت أعدائي بدائي واجعل القرآن العظيم دوائي وشفائي أنت ثقتي ورجائي واجعل حسن ظني بك شفائي، اللهم ثبت علي عقلي وديني، وبك يا رب ثبت لي يقيني وارزقني رزقاً حلالاً يكفيني وابعد عني شر من يؤذيني، ولا تحوجني لطبيب يداويني ، اللهم استرني على وجه الأرض ، اللهم ارحمني في بطن الأرض ، اللهم اغفر لي يوم العرض عليك "

* ** * ** * ** *

سار داخل المسجد، حتى رأي الشيخ في ركن قصي، فذهب إليه وهم أن يسأله، فوجده يتمتم بأدعية استراحت لها أرجاؤه، فأخذ يردد خلفه:

"بسم الله الرحمن الرحيم طريقي والرحمن رفيقي والرحيم يحرسني من كل شيء يلمسني، اللهم أعوذ بك من شر النفاثات في العقد ومن شر حاسد إذا حسد، اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك، عدل فيّ قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدًا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي اللهم يا مسهل الشديد و يا ملين الحديد و يا منجز الوعيد و يا من هو

كل يوم في أمر جديد، أخرجني من حلق الضيق إلى أوسع الطريق بك ادفع ما لا أطيق، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم أسألك اللهم بقدرتك التي حفظت بها يونس في بطن الحوت، ورحمتك التي شفيت بها أيوب بعد الابتلاء أن لا تبق لي هما ولا حزنا ولا ضيقا ولا سقما إلا فرجت ، وإن أصبحت بحزن فأمسني بفرح وإن نمت على ضيق فأيقظني على فرج، وإن كنت بحاجة فلا تكلني إلى سواك وأن تحفظني لمن يحبني وتحفظ لي أحبتي، اللهم إنك لا تُحمِّل نفساً فوق طاقتها فلا تحملني من كرب الحياة مالا طاقة لي به وباعد بيني وبين مصائب الدنيا وتقلب حوادثها كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم بشرني بالخير كما بشرت يعقوب بيوسف وبشرني بالفرح كما بشرت زكريا بيحيى"

كاد أن ينهض بعدما فرغ الشيخ، ولكنه استوقفه وأشار إليه قائلا:

انا مش "وليا" بس هي عادة، كل سنة أوزعها لوصية والدي، اجلس هنا أوزع السبح، والناس مأرب.

فنظر إلى كم الناس من حوله و.....تعجب.....!؟

خرج وهو يتساءل:

– إن كان صاحب المقام مش في هذا المكان فأين هو.....؟

ومن خلفت تعالت الأصوات وهى تردد:

"لا إله إلا الله عدد الليالي والدهور

لا إله إلا الله عدد الأيام والشهور

لا إله إلا الله عدد أمواج البحور

لا إله إلا الله عدد القطر والمطر

لا إله إلا الله عدد أوراق الشجر

لا إله إلا الله عدد الشعر والوبر

لا إله إلا الله عدد الرمل والحجر

لا إله إلا الله عدد الزهر والثمر

لا إله إلا الله عدد أنفاس البشر"

* ** * ** * ** *

سار على غير هدى في منتصف الطريق أخذ يوقف المارة في الاتجاهين، يسألهم....! لم يدله أحد....

ينبلج الفجر ويولد صبح مغاير، في هذا المكان الصحراوي على الرغم من الكثير من النخيل و الأشجار التي تحيط بالمكان، و التي لم تستطع أن تغير طبيعة الجو العام، ولا طبيعة البيئة الصحراوية، أخذت الشمس في إلقاء نورها ودفئها يرتفع رويدا رويدا، تسلل إلى قلبه شيء من الريبة وهو يحاول جاهدا أن يصدق بأن كل ما حوله واقع.

كيف يكون كل هؤلاء البشر في هذا المكان الغريب، يتجمعون ويفعلون ما يفعلون من أمور لا تمت إلى الدين بصله، فالمنكرات والهرج والمجون لم يتبق من الفواحش والمنهيات غير سفك الدماء.

تلسعه حرارة الشمس بعدما توسطت كبد السماء يترنح وقد خارت قواه ... وجهه يتصبب عرقا.. ملابسه أخذت تفوح منها رائحة العرق نظر إلى حذائه الممزق.. و التي أخذت أصابع قدميه تتنفس من خلال فتحاته المتعددة، أين هذا المكان ..؟

لقد كان يسمع عنه بأنه أشهر العلماء بين أبناء جيله؟ لقد كان يستمتع بحديث والده عنه، وكان يشتاق لرؤيته، أراد أن ينقل أصدق صوره عنه وعن علمه للناس، ولكنه بحث عنه بلا جدوى، فلا أحد يعرفه، أبناء الجيل الجديد داخل سياراتهم، أما الجيل القديم منخرط في سباق مرير من أجل لقمة العيش، أما جيله المنقرض فلقد انقرض بحكمته وأفكاره التي زالت، صادفه وهو يجول في أرجاء المكان أحد أصدقائه الذي ابتدره قائلا:

– فينك يا رجل من الصبح بندور عليك و أنت بتلف لوحدك.

ينظر إليه وهو منهك قائلا:

– أبدا كنت بدور على مكان الولي الحقيقي.

يقهقه ضاحكا وهو يقول:

– أنا سمعت عن المكان وصاحبه، وبدور عليه علشان انول البركة ،بس مش لقيه.

أخذ يجرجر قدميه بصعوبة مستأنف رحلة البحث ..لم يعد هناك أي مكان الطرقات المساجد .المقابر..، حتى وصل إلى أطراف الساحات الممتدة ومنتشرة هنا وهناك، حيث مقلب للقمامة ،الرائحة تزكم الأنوف، الأبخرة ..الدخان المتصاعد، قطط تموء، كلابٌ ضالة، جرذان تخرج من بين القمامة تبحث عن أنواع من

الطعام خارج الأكوام، وهو يتابع النظر .. مندهشا كيف وصلت هذه الحيوانات إلى هنا بل من جلب القطط والكلاب حتى الفئران؟

يزيح بقدمه ما يعوق طريقه من القمامة ليخطو متجها إلى سبيل من الطوب متهالك بجوار القمامة ظنا منه أنه الضريح .. تظهر تحت القمامة بعض الكلمات على لوحة متهالكة تكاد تقترب من الأرض، وهى مغروزة بين أكوام النفايات، وقف مندهشا وهو يقرأ الكلمات :"مقبرة المغفور له الشيخ (العالم)،ظن أن أهل المدينة قد سمعوه وهو يصرخ:

– يا للهول.....!!

ما يبحث عنه يرقد وسط هذا الكم من القمامة .

ردد ليمه وبيم مفسه:

- حقا مولد وصاحبه غايب.....؟

وقفل عائدا إلى أصدقائه، تتزاحم الأقدام إلى الطريق الفرعي المؤدى إلى المولد ، وتتصاعد الأتربة . التي ترتفع إلى منتصف الأشخاص فتلوح الأيدي تدفع الغبار عن الأوجه.

وقف بين الأقدام السائرة في الاتجاهين تتخبط كل منها بالأخرى يتأمل هذا التجمع الكبير حول شيء يشبه كشك صغير حاول

أن يلقى نظره، لم تخترق عيناه الحجب الجسدية التي أمامه، الناس يتصايحون الهتافات تعلو، يحاول الالتفاف حول الجمهور يجد نفسه خلف المكان يسمع صوت تألفه أذنيه لكن به بعض الاختلاف يحاول الإيقان بأنه هو نفس الصوت انه صوت الأراجوز.. لكن هناك اختلاف عن المعتاد.

فجأة تلتقط أذناه شيئا أشبه بالأنين يلقى نظره تحت قدمه فيجد خرقه باليه ملقاة يقلبها بقدميه فيجد الأراجوز ملقى بإهمال تتعالى الهتافات يتضح بين الأصوات صوت ينادى:

- (اررررب اررررب أحدث موضة الأراجوزة)

و أخر ينادى:

- (الأراجوزة وصلت)

يتعجب أتكون العبه المسلية التي هزت أركان العالم ضحكا وفرحا، تحولت إلى أنثى لقد عرفها الجميع على مر التاريخ باسم الأراجوز ذلك (اللمض ذو اللسان الزالف) الذي يلقى بالقفشات والإسقاطات على كل ما حوله أيتحول إلى أراجوزة.

ينظر بين يديه ليجد دمية الأراجوز وعلى وجنتيه دمعتين تنحدران وتهويان إلى فضاءات الواقع، يحتضنه يأخذه بين يديه

و يهرول هاربا، وتختلط قدميه بالسائرين في عجل إلى حيث الفرجة الجديدة ومن خلفه تتعالى الصيحات.....!!!

تتشابك أصابع الأطفال تنغرس بين اكف الكبار، تهتز الرؤوس الصغيرة في اتجاه الأرفف المرتصة فوقها أشكال وألوان من اللعب والدمى عرائس وأشكال لسفن وحصان وطائر يشبه النورس ، الولد له الحصان والبنت لها العروسة ....، هكذا منذ القدم تنسج الحكايات أسطورة الفارس وست الحسن مثلوها بالحصان للولد وعروسة للبنت ، صاح الأطفال :

غدا آخر يوم للمولد صاح الولد الحصان الكبير .... ، بكت البنت عايزه العروسة ...،

يتمتم :

اييييييييييه مولد وصاحبه غايب؟

* ** * ** * ** *

لا يعرف كيف تسير الدنيا بكل هؤلاء البشر الذين يقضون حياتهم بين الاعتقاد الخاطئ والفهم القديم.

يتمتم :

– لست أحلم بالمال ولا بالجاه، لأني لا أربأ بهما، وبالتالي شطبت حب من يغالي بحبهما في حياتي، وإنما أحلم بمعرفة

حقيقيــة، تخـول لــي كشـف الغطــاء عـن أدران قلبي..ومعرفـة الصديق الحقيقي.

أحلــم أن يكـن لــي زوجــة قويــة فــي قولهــا لا مرتجلــة فــي تصـرفها..أحلم أن تتوحـد الكلمـة،أحلم أن أسـير يومـا بـدراجتي الهوائية وأنا أطوف البلاد بغير جواز سفر، أحلم أن يكون لـي ذاكرة قوية أستحضر جميع الجمل التي قرأتها.

أحلم أن أسير فـي الشـارع لا أرى فيـه "قصـير بطـن ولا طويـل جَبِن"

أحلم أن تمحى جميع الصور في الشوارع، فلا أرى غير صور الطبيعة، والحقيقة

يؤسفني أن أقول إن في مجتمعنا الكثير من يظن البساطة، هي صفة المحرومين والفقراء، وكذلك الضعفاء....

ويبقـى أن نعـرف إذا كـان الأطفـال يتركـون المدرسـة لأنهـم يضطرون للعمل أو أنهم يعملون لأنهم تركوا المدرسة لأسباب أخرى، الاستنزاف التام للأطفال العاملين في الساعات الطويلة يؤدى إلـى حوادث. بالإضـافة إلـى ذلك، قضـاء حد معين من الوقت والتي تختلف حسب نوع النشاط والعمل يؤثر بشكل خطير

في قدرة الأطفال على التعليم، ضحايا الاعتداء الجسدي والنفسي والجنسي. كل هذا يهدد توازنهم النفسي والاجتماعي.

يتساءل لماذا لم يطرق الشباب باب الأولياء ويعتقد كما هؤلاء الناس يعتقدون بهم، إنها الحيرة التي تسيطر على الجميع حتى وإن كان صغيرا أو كبيرا.

الناس تتكاثر على الأرض لكن لماذا هم متصارعون دائما فمجموعة متصارعة على سلطان وأخرى على أموال وأخرى على إثبات الذات وكأن الدنيا حلفت لهم فقط لأجل إن يتصارعون، تخيل وهو يتأمل لو إن الإنسان عاش حياته التي خلقه الله من اجلها وحاصرها في تفكير لثلاث أقسام، عباده الله.، العمل من اجل لقمه العيش الحلال.

الزواج لإكمال الدين و إحياء استمرار الحياة بالأطفال و ليزينوا بهم الدنيا لا أن يتركوهم فريسة الفقر والتشرد.

يتمتم:

لو أن كل هذا تحقق فما هو شعور الإنسان، أن كان الإنسان أكثر إيجابية وتفاعل مع المجتمع، كيف ستكون الدنيا، أولا سيكون شعور الإنسان الطبيعي ، راحة البال والنفس، وثانيا تسير الدنيا في مجراها الهادي الوديع بالسلام بين الناس.

أخذ يتذكر حاله، والسلبيات التي عاش بها، وكيف لم يتخذ موقف إيجابيا في حياته، حتى مع حالة الحب التي سيطرت عليه، عزم بينه وبين نفسه أن يتخذ موقفا لحياته، ويغير كثير منها بعد عودته، لقد كانت هذه الرحلة درس لن ينساه، لكى يعيش الحياة بكل أوجهها،

اخذ يسير على غير هادى تتقاذفه الحيرة إلى أن وصل إلى أصدقاءه.

* ** * ** * ** *

عودة

التفكير حوار الروح مع ذاتها.

نحن مجانين إذا لم نستطع أن نفكر، ومتعصبون إذا لم نرد أن نفكر، وعبيد إذا لم نجرؤ أن نفكر.

"أفلاطون"

يصل إليهم اليوم خبر جديد، هكذا الدنيا تتسارع فيها الأخبار السيئة يوما بعد يوم وشهرا بعد شهر وسنة بعد سنة والقرن الذي يمضي يأتي بعده مستقبل مليء بأسرار وكوارث لم يتخيلها أحد، بعدما أعلنت بعض الأقمار التقاط صورة لشيء أسود مجهول يجول بسرعة في السماء مرة في مصر ومرة في أمريكا ومرة في المغرب .. تناقلت الإذاعات أخبار الغول تتناقل الأخبار على صفحات الجميع في "الفيس" وغيره خبر الغول وتلك التي صرحت وقالت إنها رأته.

الخبر كان كالبركان، فثار كانفجار ليس له حدود، فاق الآفاق عبر الحدود المكانية، ألقى في كل مكان وزمان حقيقي وافتراضي شظاياه.

نفس ما حدث عن خبر "تحدى الثلوج" الذي انتشر أيضا بسرعة البرق انتقلت ظاهرة تحدي دلو الثلوج من مشاهير العالم لنجوم الفن، تضامنا مع ضحايا مرض التصلب الضموري، اللعبة لا زالت في بدايتها والنجمات فتح الباب أمام التحدي من أجل الخير فهل يستجيب النجوم تحدى الثلوج أو التبرع لجمعية رعاية مرضى التصلب، كانت الردود والتعليقات والصور تحتل كل مساحات الفيس وتويتر وكل المواقع بدون حدود كاد العالم يصيبه جنون.

يومها انقلبت كل الإحصاءات وكل المعايير لم تجد وقتا للمرح ولا براحا للتفكير الكل يتابع الأعصاب على حافة الهاوية، انقطع "النت" ثارت الكوامن العيون جحظت أمام التلفاز، الأخبار الصور المشاهد وكل متملق وكل متمرد وكل إنسان حاول أن يكون له مكان تسلق أما من هم في ركن المدن البعيدة نسبيا أما لم ينم له جفن، عبر شبكات الهواتف صارت المحادثات والمناقشات، المقاهي ضجت بروادها في كل مكان التلفاز أصبح الملاذ الوحيد من الحمى التي أصابت الجميع، الفقير الغنى يوم حشر الأخبار بالجرائد، اصطفت الأجساد من الساعة السادسة صباحا حتى وصول الجرائد، الناس في خبر عظيم، الكل يلتهم

بعينيه الصفحات، الجاهل يشترى الجرائد ويتصفحها بنهم وتلتهم عيناه الصور، يعطى الجريدة لأي سائر أو جالس يقرأ له الأخبار، التجمعات الدائرية ملأت الشوارع والمقاهي والمساجد والكنائس، ومصالح العمل، حتى شوادر الخضار و شوادر السمك، الكل يبحث الكل يحلل والكل يستنتج.

السؤال يطرح نفسه بكل قوه هل فعلا الغول له وجود وهل ظهر فعلا ؟

يتردد في المكان صدى الصوت وهم يكررون على مسامعهم بعدما تركهم الجمع وظلوا واقفين لا يتحركون.

الغول.....؟

يتمتم زاهر :

– غول ايه .....؟!

تتكسر الحروف من على شفة صابورة :

غ...ول أيـ ... ه .....؟!

يرتعد ماهر وهو يتمتم بصوت مرتجف لسه هنشوف الموت تانى مش كفاية...اييييييه بس يا نااس...؟

يتمتم هو بينه وبين نفسه هو احنا في مصر ولا لسه مسطولين غول ايه مش معقوله أبدا.....؟!

يجذبه زاهر وهو يقول ايه الغول ده؟

ينظر إليه وهو يجيب:

الغول هو اسم لأحد أنواع الجن النادرة، المزعومة الوجود في شبه الجزيرة العربية، وكانت برغم شراستها كما اشتهر عنها، وأنها كانت من آكلي لحوم البشر أحياءً – وليس عظامهم فقط بعد موتهم كما يفعل بعض أنواع الجن الآن – إلا أن الغيلان اشتهر عنها، حبها الشديد للشِعر العربي، وكان يأثرهم بيت شعر جميل، كما أنهم كانوا يقرضونه أيضاً وقد اتهُم أحد الشعراء في زمانه، بأنه على علاقة بأحد شعراء الغيلان، وأنه يأتي بأبياته منهم، سبحان الله أنظر كيف يجمع بين الشراسة والحس المرهف.

ينظر إليه صابوره قائلا:

– بس انا عارف ان الغول ده شي من المستحيلات ومش موجود بس بنخوف بيه العيال.

يضحك وهو يجيبه.

قائلا:

– الغول هو كائن خرافي يرد ذكره في القصص الشعبية، والحكايات يتصف بالبشاعة والوحشية، وغالبا ما يتم إخافة

النـاس بقصصـه، وهـو إحـدى المسـتحيلات الثلاثـة عنـد أهـل الجزيرة العربية، في الجاهلية، ولكن عندما جاء الإسلام، تم نفي تلك الأفكار، و قيل هو أحد أنواع الجن كما قلت لك.

ينفض المولد فجأة ويهرول الجميع إلى السيارات مخافة الرعب المجهول.

يعودون أدراجهم بعد انقضاء الفترة المحددة للمولد، يعود كل واحد وقد امتلأت نفسه بأحاسيس عجيبة،منهم من أحس بنشوة الرحلة المختلفة والمغامرة التي أتت على هواه وكيف سيصور لأصدقائه أنهم شافوا العجب.

ومنهم من كان في غاية النشوة من الحصول على بركة الشيخ بزيارته في المولد بتاعه، ثم التقرب بأمنه، أو يفي نذر عليه كان يتمنى أن يذهب إلى المولد المشهور في الجنوب ليزور مقام أحد الأولياء العظماء هؤلاء الذين كان يسمع عنهم.

ومنهم من لم تؤثر فيه الرحلة بقدر ما أرهقته حيث إنها شاقة وبعيدة.

ضجيج السيارات ينظر إلى ذلك الشريط الذي تسير عليه السيارات كأنه نهر يتدفق إليه الماء بسرعة رهيبة تلك الرائحة التي تملا الشوارع تخنق مساحات الأكسجين الأضواء التي

تصيب العين من ما يجعل الرأس تدور، أليس هذه هي المدينة التي يسمع بها كأنها الضوء الذي ينير ظلمات المدن المعتادة و الذي كان يتصورها ليل بهيم و المدينة هي شمعه مضاءة ليستمد منها كل عاشق للحرية والنور و الدفء.

يتمتم

يا لهذه الدنيا كل فرد لا تعجبه حياته.

وكان يفضل الذهاب إلى أي من شواطئ القرى الساحلية، وكان منتظرا أن يكمل الرحلة مع أصدقائه و يذهبون إلى الغردقة مثلا، ولكن كما يقولون دائما لا تأتى الرياح بما تشتهى السفن، فلقد كان لابد من العودة بنفس السيارة التي أتوا بها، فهي الوسيلة الوحيدة للعودة إلى بلادهم وإلى أي بلد بها عمران في قلبي العاصمة .

أما هو فلقد كانت الرحلة مصارحة ومكاشفة، وحلم وفزع من ما رأى، فلقد كانت صدمته كبيرة في كم التوهمات التي رآها من البشر ومن أفعالهم .

وكيف أنه اكتشف أن الوهم أخذ بعقول الناس إلى التخيل، بدل التصوف، وإلى الخروج بدل التدين، كيف علم أن الحياة هي خداعة، و الوهم هو المسيطر على البشر وليس الحلم .

فهو يدرك أن من الحلم ما يمكن تحقيقه أما الوهم فهذا نوع من العجز والكسل للإنسان .

يتذكر حبيبته وشجرته يتمتم بينه وبين نفسه:

– مس إيجبت كم أنا في شوق لرؤياك، يا أرق مخلوق في الوجود، لقد أسكنت الفجيعة الألم بين كل تفاصيل كياني، الجَاكَرَنْدَا يا خليلة الحب ورمز الأمل، يا اجمل شجرة في العالم بدون منازع، يا لخيبة الوهم الذي يرغمني على البكاء كلما تذكرت وجعي المسكون بوهج المرارة، ينتابني حلم قد تغيرت ملامحه وعليه غبرة من زمن العصيان والتمرد ، أحلامي كلها مبعثرة مجنونة تتراءى أمام عيني بين الوهلة والأخرى، فهل يعود أمل الغد ويتحقق الحلم ويغفو روحه على أعتاب حزني، أعلن تمردي أبعثر ذكرياتي الأليمة، وأزرع الزهور فرحة بشروق شمس لا لشيء سوي أني ما زلت أحلم بميلاد جديد، لقد ملت جفون عيني أن تحلم بك أيها الواقع المرير، هل تكتمل عواطفها وكيانها، وتعلن تمردها على واقعها.

فجأة يسود هرج ومرج و تتعالى الصيحات يخرج رأسه من السيارة ليرى، تجحظ عيناه من هول المنظر السيارات التي أمامه تنقلب واحدة و تصطدم بها الأخرى وتتدحرج على الطريق،

وينحرف قائد الثالثة التي بها بعض أصدقاءه عن الطريق لتفادى الاصطدام، فتنقلب السيارة في الرمال وتهوى من على الطريق إلى المنحدر اسفل الطريق، فجاه ترتج السيارة التي هو بها، فيمسك بيد زاهر الذي كان يجلس بجواره فترتج السيارة بعنف، وتظلم الدنيا أمام عينيه.

* ** * ** * ** *

غيبوبة

مشكلة العالم أن الأغبياء والمتشددين واثقون بأنفسهم أشد الثقة دائما، أما الحكماء فتملأهم الشكوك.

"برتراند رسل"

يسبح في عالم من التوهة وهو غير مصدق لما راى.....!؟

..... ولا هو لسااااه مسطول .....؟

هل فعلا ما رأى ولا زي ما حبيبته كانت بتقول عليه :

أنت بقيت تتوهم حاجات علشان خلاص بقيت (سطل) من الزفت اللي بتشربه ده اللي اسمه معسل.

كم ضحك على كلامها:

اااااااااااااه لو تعرف ده المعسل يعتبر غبار بالنسبة للتحشيش و البلاوى التانيه اللي بيطعطاها مع صحبته ولا زى ما بيقول صابور:

بخور الصاااااااالحين .

يعاوده الإلحاح من جديد:

– الغول ظهر ؟

يتمتم وهو شارد:

– يااااااه سلام ؟

يتذكر فلسفة الكتب التي كان يقرأها:

وراء كل كلمه ألف معنى ووراء كل سطر ألف جمله ولكن.....

الإرادة بنت الفكرة التي تتحول إلى انتصار عظيم بلا تخطيط .

السياسة مستنقع قذر من يقترب منه إن لم يلوث أصابته الرائحة بالغثيان .

الكاتب في الغالب يحمل هم الوطن ومتقوقع في ركن قصي حتى لا يتهم وإن أشار قطعوا أصابعه حتى صار يحمل أكفًا مبتورة الأصابع .

الشعب مقهور من زمان وإلى اليوم يصدق الكذبة ويكذب الحقيقة، لم يصدق وكان يحلم بوهم العيش في عهد ولى...اليوم هو أيضا غير مصدق الحرية ومازال يرتجف أمام التوهمات التي تلقى عليه من كل مكان ..

إن كان هذا هو حالنا فقد كفرت كل حروف الكلمات بما تسطره الأقلام.....!

ارتاح من أعباء كثيرة اكتشف إنها مملة مثل الثرثرة على "الفيس بوك" و "تويتر" و "لينكدإن"، المغازلات كل تلك الأشياء أصبحت قذرة حقيرة، هكذا نحن إذا وجدنا حدثًا عظيمًا استحقرنا ما كنا نبني عليه الأحلام منذ زمن .

لقد كان أخر قراره التغيير للأفضل ترددت الكلمة في عقله:

- الإيجابية.... الإيجابية.

* ** * ** * ** *

يفيق تسيطر عليه الهواجس تلفه خيالات الوهم، يصرخ داخله صوت يرج كيانه:

ولما لا فلأكن أنا، وهم من الوهم لا أعرفهم..!

يسبح في غيبوبة تتلاطم أمواجها على كيانه يفيق ويغفو.

هكذا انتهت رفقة الأصدقاء، ومجلسهم وفرحهم وضحكاتهم انتهت لقد حكمت عليهم الظروف والدنيا وفرقتهم، ليرى الحياة

بأسلوب يختلف شيء واحد أصبح هو سيد الموقف و المسيطر على كل الساحات "الأنا".

فقد جاء الوجع والهم من كل حدب وصوب، هبط على الناس كالغمام في السماء .. تكاثف ملأ ما بين أرجاء الخلاء المكانى، و بداخل جلابيبهم تدثر البشر صاح الطبيب المعالج في من حوله قائلا:

– كان الحادث أكثر من مروع، فقد فيه الكثير، ومات اثنين من أصدقائه، أو بالمعنى الصحيح لم يعثروا على جثثهم، فقد فقدوا مع الكثير من الجثث التي فقدت.

يومها صرخت هي بكل قوة الكامن داخلها، وارتجف عليه، ووقفت كالأم التي تنعى حظ ابنها الذي لا هو عائش بينها تحدثه، ولا هو ميت تترحم عليه، اختلفت كل تضاريس المكان ما عاد شيء في محله، هو أيضا ما عاد كما كان، له أكثر من ستة أشهر في المستشفى، لا يدري كم مره أفاق ولا كم مره أدرك ما حوله، كل ما يذكره أنه يفتح عينيه ثم تظلم الدنيا أمام عينيه من جديد.

يفيق

يتذكر

ينظر إلى شاشة التلفاز التي أمامه.

تنطلق أصوات التلفاز و الإذاعات خبر هام وعاجل:

– اكتشاف خطير..؟ حيث اتضحت معالم الجسم الغريب الذي ظن الجميع أنه كائن خرافي، غير أنه تبين بعد الاستطلاعات والأقمار الصناعية، التي أثبتت أنه جسم صلب وقامت بعثة من العلماء واتجهوا إلى الفضاء وهناك كانت المفاجأة، اكتشف أنه كوكب عاشر في المجموعة الشمسية.

تكمل المذيعة الخبر:

– ويأتي اكتشاف هذا الكوكب الذي أطلق عليه مؤقتا اسم" ٢٠٠٣ يو بي ٣١٣" بعد اكتشاف كوكب آخر أصغر من بلوتو، كان قد أطلق عليه اسم ٢٠٠٣ إي يو ٦١، علة يكون هو ما أثار ضجة في الآونة الأخيرة حيث يكون مأهول وسكانه خرجوا في رحلة اكتشاف فظن الجميع أن ما رأوه هو شيئا خارقا "

يتمتم بينه وبين نفسه :

– هههههه، ناس في الهم غرقانة، وناس في أبراج من عاج سكرانة.

يتذكر وعقله مشوش المفاهيم المغلوطة والمصطلحات الغريبة، وأخبار غير منطقية، تصف حالهم بعدما عرفوا طريقهم فسرقوا

الحضارة والعلوم، وقاموا من مستنقع الهمجية وعيشة الأدغال وأصبحوا أسيادا وغيرهم عبيد.

لم يبق غير الفقر والعوز ينهش.

يتذكر هذا الجنون الذي أصاب المشاهير المسمى "تحدي الثلج".

يتمتم بينه وبين نفسه قائلا:

– أشك انهم بيعرفوا ايه الهدف من وراء التحدي، اللي مفكرينه لعبة مش أكتر، ولا أقل، فهو يعرف أن الفكرة هدفها انك تحس بمرضى الشلل العضلي، اللي أعراضه بتشبه إحساسك حينما تتجمد أطرافك، اللي بيسموه شلل العضلات وبعدها تقرر انك تتبرع لصالح الجمعية الخيرية، وتطلب من أصدقائك يعملوا التحدي ويتبرعوا ..

يبتسم بسخرية وهو يتمتم :

– والشيوخ تطلع علينا وتفتى، إن الفكرة أجنبية، و بتدعم الغرب !!

يتمتم وهو يقرأ شريط الأحداث على التلفاز، والذي يعلن بأن القصف على غزة كان مروعا هذا اليوم.

كم كان يكره الأخبار سواء في الجرائد أو في التلفزيون، كما يكره هؤلاء الذين يتحدثون باسم الدين، وقد أطلقوا لحاهم كنوع من المظهر الديني.

تحادثه نفسه:

أعتقد أن امتنا لديها تحديات أكبر كالجوع، والفقر، و الأمراض، والتحدي الأكبر هو الظلم، والاحتلال و إبادة جيل بأكمله، بالتشويه الإعلامي و الفكري من خلال الثقافة المنحدرة الى الحضيض! بدل الهزل اللي بيهروا فيه ده، فعلا ناس معندهاش ريحة الدم.

تأخذه حالة هذيان يفقد السيطرة على جسده ترتخي أعضاءه يهوى فاقد الوعي

* ** * ** * ** *

بِلا أثر

"من بين كل ما كتب: لا أحب سوى ما كتبه الإنسان بدمه. إذا ما مُتُّ يا أختاه فلا تجعلي أحد القساوسة يتلو علي بعض الترهات في لحظة لا أستطيع فيها الدفاع عن نفسي" .. نيتشه

يأتي إلى المستشفي الاستثماري التي دخل بها بعد الحادث وأقام فيها أكثر من سنة لسوء حالته حين ذاك، زاهر أحد أصدقائه و الذي نجا من الحادث، يومها هو الوحيد الذي حالفه الحظ وحماه ربه وجسده القوى من الموت المحقق في هذا الحادث.

يسأل عن مكانه فتأخذه إحدى الممرضات إليه تلك التي كثيرا ما كانت تحاول إخراجه مما هو فيه والوحيدة التي كان يصارحها ويحدثها ويحلو له الجلوس معها.

تفتح باب الغرفة وهى تنظر إليه تتحسس لحائط لتضغط على زر إضاءة النور، فتضيء اللمبة الوحيدة المتوسطة الغرفة فيجده صديقه على سرير يتوسط الغرفة .

يدخل إلى الغرفة التي يحوطه جدرانها وتحتضنه منذ أكثر من سنة .

كان نائما كعادة الأيام الطوال التي يتكلم فيها ولا ينهض فيها من على سريرة الحديدي، كأنه مقيد عليه تدمع عينيه حينا ويغلقهما أحيانا كثيرة مصطنع النوم .

يطلب من الممرضة أن تتركه معه بعض الوقت حتى يصحوا من نومه فتقول له الممرضة:

–ولكنه لا يقوم من النوم اليوم، ممكن في المساء أو بكره في الصباح، فهو يأخذ جرعات من المهدئ تجعله في حالة سبات طويلة.

ينظر إليها قائلا:

–أيا ما كان سأنتظر.

ثم ينظر إليه فتترك هي الغرفة وتغلق الباب خلفها .
يمد يده إليه وهو يتمتم بينه وبين نفسه :
–لن ترحمنا الأيام يا صديقي، فلا تحزن على ماض تركنا كالأطياف نجتر بين الخطى أثر الماضي الجميل.
كنا وكانت لنا الأيام روضة الأحلام وكنا نرتع بلا اكتراث اليوم كل ما بيننا صار إلى العدم لا ندرى أي من كل ما صادفنا نجني منه الأحلام.
بعدما صارت كل أيامنا كالوهم والحلم الذي لم يكتمل صارت لنا الحياة مرفأ لا يرسى عليه غير الحزن تركتنا في أشد محن الدنيا ولا ندري كيف صرت إلى ما صرت إليه من توهة العقل .
هذا العقل الذي طالما حاورنا وهذا الوجه الذي كان يملأ الدنيا حولنا ابتسامات و أريحه من هم الدنيا .
اليوم ترقد لا تدري عنا شيئا، ولا ندري عنك غير جسد مسجى لا يقوى على أن يتقلب من آلام النوم العميق .
صرت إلى ما صرنا إليه ولكنك لا تدري ما نحن فيه من عذابات الحياة، أما أنت الآن تهنأ في راحة العالم البرزخي ترى أحلاما قد تكون سعيدة وترى بين كل حين أفراحا كنت تتمناها،

نم هنيئا ولا تحزن ففي أحلام الغياب راحة من أحلام الواقع الذي نعيشه.

يشرد في المجهول أمامه وهو يكمل:

– يا صديقي إن كنت عن الحياة قد اختفي عقلك وتغب عن الطرقات وجهك، غير أنك مازلت بين أنفاس الدنيا تأخذ نصيبك ولك في كل هواء حولنا عبير تتنسمه.

يتنهد قائلا :

– بص لي فوق انت ما تعرفنيش، أنا زاهر النكدي.

ينحنى عليه يعرفه بنفسه وقد اشتاق إلى أيام صداقته، ناده .

تململ وفتح عينيه بصعوبة نظر له في دهشة قائلا:

–أ..نت تعرفنى.

ضحك له قائلا :

–بص لى يا حمار انت مش عارفنى؟ أنت كبرت يا مغفل، فيييييين أيام سهرات البرج.

يندهش تزوغ عيناه يغمضهما .

يتمتم صديقه وهو يربت عليه ودموع عينيه نازفة:

–ياااااااه يا أحمد فينك يا راجل راحت فين أيامك أين أنت؟

ينظر إليه وهو يتابع:

– كنت يا صديقي كعابر سبيل يريد أن يعزف للعالم أنشودة الغرام، كان الحب يسيطر عليه، وكنت من بلد إلى أخرى كان تطوف بنا، لتعلم الكون لحظات الوجد الملتهب من خلال إبداعك الجميل.

يربت على كتفه وقد غض الآخر في نوم عميق، يتابع كأنه يحادثه في برزخه:

–يااااااااااااه، كم صورت لنا حالات البؤس والشقاء والحرمان والخراب والدمار و التشرد في كتاباتك التي كنت تأتمنني عليها، كنت واصفا وناقدا للأوضاع التي تحيط بعالمنا.!

كنت تردد دائماً لي كلمات "جبران خليل جبران" عن تلك الأنثى التي كنت تحب.

"ليحب أحدكما الآخر، ولكن لا تجعلا من الحب قيداً، بل اجعلاه بحراً متدفقاً بين شواطئ أرواحكما"

يربت عليه قائلا:

– نم هنيئا ولا تحزن ففي أحلام الغياب راحة من أحلام الواقع الذي نعيشه، لقد كانت الدنيا شروق حتى أظلمت أمام أعيننا،

حتى ظننا أننا أصحاب اكبر مشاكل الدنيا تعقيد، فاستسلمنا لواقع الدنيا المرير بكل لامبالاة.

* ** * ** * ** *

في الصباح تأتى لزيارته حبيبته تلك الإنسانة التي غيرت معالم حياته، التي رسمت على خريطة عمره تضاريس لم تكن من قبل، إنها الأنشودة التي عزف بها طيلة عمره لحن الوفاء، تتحسس جسده تنحني تطبع قبله على خده، تجلس بجواره وهى تذرف الدمع، تتذكر أجمل لحظاتها التي كانت بين يديه تجلس تحكى وتقطف من كل بستان للحب زهره ، لقد زرعت من حنانه حديقة غناء يطرب لها قلبها كلما تذكرته، لم تتخيل إن بعد هذه الأيام والشهور سوف تراه هكذا، إنه لم يعد كما كان صار رسما سريالية لشخص كانت تعرفه جيدا، تذكرت حديثهما الهامس تحت ظل شجرتهما المفضلة،...حبيبتي غدا سوف أتقدم لخطبتك ...

فجأة رأي نظرات زعر انتفضت وهي تقول له:

– لا تأتي فأبى لن يوافق..

يومها نظرت إلي في دهشة قائلا:

– لماذا ...؟ فأنا أريدك بجواري اتركي لي الأمر و أنا سوف أناقش هذا الموضوع فأنا اعرف أن أتفاهم معه ..

يومها حدث ما حدث وكنت أعرف مدى ارتباطك بي وكم كانت الصدمة لك، غير أنى أصررت وعاهدتك بأني لن أتركك ولن أرتبط بغيرك.

تتنهد وهى تردد كلماته متمتمة:

– قالوا بأن الوجع مرير قلت... نعم؛

قالوا بأن الحب أصبح قتيلا.... قلت بلى؛

نعم أنا متمردة... كحلم ضاع من بين جفون طفل صغير، كبسمة اختفت بين أصوات النواح، كدمعة أنثى تخرس الملايين، أنا متمردة أنا متمردة... بأحلامي المجنونة التي رسمتها معك، عن عشق مستحيل بقبلاتي التي يشعر بشهدها رضاب شفتيك، بابتسامتي التي أسكرت قلبك من قبل، بدمعتي التي تهافتت الأنامل على تناولها قبل أن تسكن قبور شفاهي.

تتنهد بعمق وهى تمسح دموعها المنهمرة التي أغرقت وجهه وهي تكمل:

– اغفر لي تركي لك تخوض غمار الحياة شهور، فأني العن سفري مع أهلي، العن كل لحظة مرت بدون لقياك، إنى أمقت كل لون صباح يأتي بدون أن أراك، كرهت معنى الكلام الذي يقال من أفواه أناس غير شفتيك، كرهت تمردي الذي كان يهوى كل كلمة معسولة، كرهت كبريائي الذي حطم رغبت العشاق على أرض واقعي، كرهت جنوني المدفوع بالحرف، وبالكلمات التي كانت تتسكب بين السطور ، كرهت غيرة النساء التي كان يرينك معي، أصبحت بدونك أنثى تشبه الورد لا تستطيع الوقف إلا على ساقها، ورغم أن ساقها أصبحت لا تقوى على تحمل ذنبي تجاهك.

لحظات جنون تنتابني ودلال يشدني إليك فأنا بك غارقة، و بهواك لا أجد لاكتمال أُنوثتي إلا بك، ولا يكتمل تمردي إلا بين يديك، وكنت انتظر قدومك في الأفق البعيد، لتعتقلني وتسكنني بين حناياك، وها قد أتيت وما أجمل هطول المطر بعد الجفاف، بك نسيت الزمان والمكان ونسيت من أكون، فهل عدت كما كنت أم أن الفراق ترك بين اللقاء جبلا لا أستطيع صعوده، لا تتركني ظمأى يجترني الموت إلى عطش الحياة، لا تتركني

أهوي من فوق جبل الفراق لأتحطم و أصير بقايا، انتشلني ومعا نحطم الجبل ونذيب صخوره.

حبيبي عد فلا الشمس تغرب ولا تشرق إلا بك، ولا القمر يستدير فيصير بدرا إلا عند رؤياك.

تدخل الممرضة وهى دامعة العين وتقف خلفها وهى تربت عليها قائلة من بين دموعها :

–هو بخير ما تقلقيش ، الدرجة دى كنت تحبيه .

نظرت إليها وهى لا تقوى على الكلام فأطرقت برأسها وهى تتمتم:

– ايوه هو عندي ملء الدنيا وما عليها فعلا .

تنظر الممرضة إلى سقف الغرفة قائله:

– ده هو الحب الحقيقي، مش الأذى اللى يسببه الكذب والرياء والخداع، لا يُبكي إنسانا بالطريقة اللي شفتك عليها، غير لما يكون بيحب بصدق.

تتمتم قائلة وهى تنظر إلى الممرضة:

– لأنه كان من أصدق المخلوقات وفاء وصدق وحب، والحب بالنسبة إليه زى ما كان يقول لي، يقوى الإنسان ويكسبه خبرة في

الحياة ويمنحه قدرة على التمييز، وكان يردد بأن الحب وحده يكسب الإنسان القوة والقدرة على مواجهة الصعاب في الحياة.
يتململ وتصدر من الجسد حركه خفيفة فتسرع الممرضة إلى مسك يده، وتقيس الضغط، وتسرع خارج الغرفة وتأتي بعد ثوان بطبيب ينحني عليه، ويضع سماعته على جسده، ثم يقول للممرضة:

– هاتي محلول ملح و"جلوكوز".

ونظر إلى الملتاعة التي تقف عند رأسه وهو يقول:

– اطمني فهو قد تحسنت حالته، وسيخرج قريب إن شاء الله.

تنظر إليه قائله :

– هو فعلا سينجو؟

ينظر إليها وهو يقول:

– إن شاء الله، ففي حوادث السير تختلف درجة الإصابة باختلاف العضو المصاب، وارتجاج المخ، إصابة بسيطة إلى حد ما، ويستعيد المريض وعيه بعد الإفاقة من التخدير بشكل كامل إذا تم تخدير لعلاج كسور مثلا، ولكن إصابة المخ أو قاع المخ وحدوث نزيف قد يؤدي إلى غيبوبة، فتكون درجة الإفاقة وعودة الوعي الكامل تبعا لمستوى الإصابة، وتبعا للتجهيزات في

المستشفي التي يعالج فيها المريض، والذي يحدد ذلك هو طبيب المخ والأعصاب، وطبيب التخدير الذي أشرف على العملية، وإذا كان الرأس سليما، وهذا ما قمنا به على أعلى مستوى من الأهمية فأنتِ كما تعلمين أنه في مستشفي استثماري.

تأتى الممرضة بما طلب وتعلق المحاليل وتعطيه الحقنة وتمر دقائق كأنها دهر بأكمله فيفتح عينيه وهو يتمتم ، فتميل هي عليه وهى متلهفة قائلة :

– حبيبي ونور عيني ماذا حدث أفق ألم تعرفني بعد؟

ينظر إليها وهو تائه ويرفع يده ثم يخفضها فتقول الممرضة لها:

– لا عليكِ، إن شاء الله بكره هيكون في خير حال، معلش هى انتهت أزمته وهيعود بس الموضوع محتاج شوية الوقت .

تنظر إليه ثم تنظر إلى الممرضة قائلة:

– خلى بالك منه وانا هآجي ازوره تانى، وإن أفاق بلغيني خدى رقم تليفوني يمكن فؤادي يهدأ .

تنظر إليه مرة أخري وهى تحدث نفسها:

– لقد رسمت في لوحة أيامي ظلك، فلن تغيب عن عقلي، أنت بريشتك طروب وعلى ألوانك طعم الحياة، وفي كل لمساتك

بلوحة عمري خط لا ينحني، فلا تحاول رسم المنحنى، ففي كل لوحات حياتي شموخ وكبرياء الحب، هل تعرف ماذا يعنى الأبيض في سحاب لوحتي.؟ دفء الحب العذري لا مطر مترقب، و لون السماء الأزرق صفاء بلا غيوم، لا بل هو تماس لقلبي الحنون، اهرب كما تشاء من معنى كلماتي، تخفى بين الألوان، تلون بكل رسومك، فلن تنساني ولن أنساك.

يومها لم يدر ماذا يفعل حتى استيقظ على ضوء فجر وليد لكي يحارب ذكريات مضت وحنين من الأشواق تبعثرت وضاعت في طرقات بلا معالم، عاند، كابر، وأخفي قلقه بين طيات الذكريات.

تترك الغرفة فتنظر الممرضة إلى الطبيب قائلة:

– إن كان الإنسان لديه إنسانة زي البنت دى، لا يسيب الدنيا حتى وإن جاه الموت.

فيبتسم الطبيب وهو يقول لها :

– شهادة الأنثى للأنثى مجروحة، بس إن كانت زي ما بتقولي، فانا شايف، في وصفك أضعاف ما قلتِ ما بُحتيش بيه، و إن كانت فعلا، فحق على الإنسان أن يسيب الدنيا وراء تلك الإنسانة إذا رحلت عن الدنيا يوما، لينعم بجوارها حتى وإن كانت

رفات، وعظام نخرة، يومها هتكون بطن الأرض خير من ظهرها الذي ملأ بكل المنافقين والحاقدين على البشرية.

* ** * ** * ** *

الأمـل

هكذا تبدو الحياة الخفية التي تحاور وتناور الإنسان، من اجل نقطة رجوع لدى المشاعر التي تتوه في دروب الحيرة.

تعج أروقة المستشفي بألوان و أشكال البشر ذهاباً وإياباً، كانت كأنها ممرات مدرسة انطلق بها صوت جرس الفسحة فانطلق الطلاب من كل حدب وصوب، يتسارعون في كل اتجاه، كانت أقدام الجميع تتسارع أقدامهم كأنهم على موعد مهم.

كان زاهر ينظر داخل المستشفي وهو متعجب من هذا النشاط الملحوظ في أروقة المستشفي، كان قد علم بموعد خروج صديقه

اليوم، فأراد أن يكون أول من يراه، بعدما استرد عافيته، فلقد كان كلما زاره أما يجده نائما أو في حالة توهه، اخذ يسير بين الأجساد المتسارعة حتى وصل إلى غرفة صديقة لكى يطمئن عليه، فوجده في الغرفة واقفا على قدميه ويتحدث مع الممرضة، وما أن رآه حتى أسرع إليه وهو يبتسم في فرح قائلا:

– أحمد...، حمدا لله على سلامتك يا راجل.

نظر إليه وهو يبتسم و أخذه في حضنه وهو يقول:

– الله يسلمك يا صاحبي كيف حالك أنت.

نظر إليه زاهر وهو يقول :

– الحمد لله المهم أنت.

ضحك وهو يقول:

– ما تخفش عليَّ، زى ما بيقولوا"عمر الشقي بقي".

ربت عليه وهو يقول

– المهم أمتي هتخرج .

فقال له:

– دلوقت يا صديقي، يلا نكمل إجراءات الخروج .

ونظر إلى الممرضة وهو يبتسم بامتنان قائلا:

– صراحة مش عارف كيف أشكرك .

ابتسمت وهى تقول:

– المهم سلامتك ده واجبى.

ترك المستشفي و أخذه زاهر إلى حيث مسكنه، وما أن وصل إلى شقته و أدار المفتاح في الباب حتى مرت عليه لحظات رهيبة، دلف إلى الداخل كان الظلام ورائحة التراب يسيطران على المكان، أخذت يده تحسس على الحائط، اخرج الـ"موبايل" أضاء فلاش الكاميرا سلطه تجاه الحائط حتى عثر على لوحة المفاتيح الكهربائية، رفع "سكينة الكهرباء" انزل يده إلى مفتاح النور، ضغط عليه أضاءت الصالة، اخذ زاهر ينظر حوله باستغراب، فوجد "الترابيزة" التي تزدحم من ثقل الأشياء التي عليها الكتب المبعثرة، أكواب فارغة، و أتربه منتشرة، وخيوط عناكب في زوايا السقف، يطفئ هو ضوء الفلاش ويضع الـ"موبايل" في جيب سرواله، اخذ زاهر يزيح بعض الأتربة التي على بعض الكتب الملقاة على "الترابيزة"، نفض عن يده ما علق بها من أتربة.

اخذ أحمد تخطو قدميه على أتربة الأرضية، يصل إلى غرفة نومه، يضئ المصباح يجد التراب سيطر على كل شَـيْءٍ ، يسحب ملاءة السرير يلقى بها على الأرض، ترتفع من حولها سحابة خفيفة من الغبار، يمسك بالمخدة يحاول إزالة ما عليها

من أتربة، يلقى بها مرة أخري على السرير يجد الغبار يتصاعد من حولها، يخرج تليفونه من جيبه يطلب رقما يأتيه صوت دافئ ملهوف من الطرف الآخر :

– الو أحمد مش معقولة "الو" أجبني.

يرد عليها:

– أيو أحمد كيف حالك يا حبيبتي.

وكان الزمن توقف لحظة حينما أتاه صوتها مليء بالسعادة والحب قائلا:

– حمدا لله على سلامتك أنت فين ؟

أجابها :

– أنا في الشقة دلوقت، محتاج أشوفك.

ردت قائلة :

– اجيلك..... .

قاطعها قائلا :

– لا هنتقابل في النادي "اوكى".

خرج إلى الصالة ونظر إلى زاهر قائلا:

– هسيبك شويه، هروح النادي اشوف "مس إجيبت"و ارجعلك.

نظر إليه زاهر في دهشة وهو يقول:

– أنت ما استريحتش، كيف تخرج .

وابتسم وهو يقول:

– هتقابل "مس ايجبت".

ابتسم وهو يربت عليه قائلا:

– أيوه يا عم .

فقال له زاهر:

– وتتركنى وسط كل التراب ده، لا انزل معاك و أشوفلك حد ينظف ليك الشقة "اوكى".

أعطاه المفتاح وهو يبتسم قائلا :

- "اوكي" يا صاحبي.

وهبطا إلى الشارع وذهب كل واحد إلى وجهته.

* ** * ** * ** *

اخذ يسير حتى وصل إلى مكان اللقاء، دخل النادي، اخذ ينظر حوله كأنه غريب عن المكان، لقد تغيرت ملامح كثيرة فيه، اخذ يسير في الحديقة وسط الزهور والخضرة التي تفترش المكان، حتى سمع صوت يعرفه جيدا ينادى عليه بلهفة، نظر خلفه فوجدها أنها هي، كما تركها لم تتغير فيها أي لمحه، غير مسحه من الحزن، و الفرحة تكسى وجهها المشرق، أسرع الخطى تجاهها امسك بكفها بين يديه، ترك لحظات للأكف كي يحتضنا مسافات الفراق، كانت الأشواق وكلمات الحب والهيام، تعجز عن وصف حالتهما، ووسط هذا البحر الجارف من اللهفة والحنان، سارا حتى وصلا إلى مكانهما المفضل حيث تقف شجرة "الجَاكَرَنْدَا" شامخة وسط أخواتها وكأنها تنتظرهما، أخذت العصافير التي تسكنها تحلق وهي تزقزق بصوتها كأنها تعزف أوركسترا اللقاء، وتمايلت بعض الأغصان حينما رحلت عنها العصافير، فأسقطت بعض أوراقها عليهما، وقفا يحتضن كل

واحد منهما اكف الآخر، وحولهما ترفرف الأجنحة معلنة يوم الفرح واللقاء.

قال لها:

– انا نويت اسافر وهتيجي معايا مش هسيبك تاني.

قالت وهى تنظر إليه باستغراب:

= على فين.؟

قال لها وهو يشير بيده بحركه مسرحية:

- إلى حيث الحرية إلى حيث الجمال إلى فرنسا.

قالت:

بس بابا.؟

قاطعها قائلا:

– كفايه بعدنا ، مش من حقه أن يبقى حاكم وجلاد، له أن يعيش كما يحلوا له، ولينا أن نختار ما يعيننا على الحياة بالحب، الحب ترياق العشاق، هتيجي معايا.؟

نظرت له وهى تضم كفها الرقيق إلى كفه وتحتضنه قائلة:

- هروح معاك إلى أي مكان في الكون.

فجأة، تأتى رياح تهز الأغصان فحلقت العصافير بقوة بعيداً، وصمت صوتها وساد في المكان الهدوء إلا من صوت حفيف

الأشجار، فتحت عينيها وهى تنظر إليه فوجدته يترنح، أخذت تهزه في قوة، صائحة باسمه:

– أحمد مالك رد عليا ؟

وفي لهفة أخذت تبحث عن أحد حولها فلم تجد فأخرجت من حقيبتها زجاجة"برفان" و أخذت تسكبها على وجهه وتقربها من انفه ففتح عينيه في صعوبة وهو يتمتم:

– معلش أنا ما نمتش و مستريحتش، طلعت من المستشفي و جيتك على طول؟

انحنت عليه بلهفة وهى تقول :

– و أنت معايا وأنا قلقانه عليك، يلا بينا على البيت هأوصلك.

نظر إليها وهو يقول:

– لا أتصلى بـ"زاهر" من تليفوني فرقمه هتلاقيه فى قايمة الصادر.

أخذت التليفون وبحثت عن الاسم حتى وجدته واتصلت به فقالت له آن يسبقها إلى مسكنه وهى ستوصله إلى هناك.

ساعدته لكي ينهض ووضعت يده على كتفها، و أخذت تسير به حتى وصلت إلى خارج النادي، و أوقفت تاكسي وما هى إلا دقائق حتى وصلت إلى حيث يسكن، ففتحت له باب التاكسي و

أخذت تسنده فوجدت "زاهر" في انتظارهما، اخذ يسنده معها و أوصلوه إلى شقته.

حينما دلف إلى الشقة وجدها نظيفة، ليس بها أي أثار للفوضى ولا للأتربة، جلس على أريكة قريبة، و أسرعت إلى فتح النوافذ ثم نظرت إليه وهى تنظر إلى الشقة، ثم اتجهت إلى الداخل قائلة:

فين اوضة نومك علشان تخش تستريح.

دخلت حيث الغرف و أضاءت الأنوار، ورتبت له سرير وهو تقول :

– اترح دلوقت وأجيلك بكره أطمن عليك.

ابتسم ابتسامه واهنة قائلا:

– ماشى و زاهر هيتولى الموضوع، المهم أن تروحي دلوقت وماتقلقيش علي، وهيروح معاكى زاهر يوصلك.

ابتسمت قائلة:

– أنا مش عايزه اسيبك تاني لوحدك، خلى زاهر جنبك علشان أكون مطمنة، ومتخفش عليا علي.

ودعها واغلق زاهر الباب خلفها ثم نظر إليه قائلا:

– مش قلتلك ما تروحش دلوقت ، المفروض تستريح الاول، على العموم حمدا لله على سلامتك مره تانى.

نظر إليه وهو يبتسم ابتسامه واهنة قائلا:

– وكيف تيجى الراحة ياااااااااااااه! الأيام فرقت بينا وبين الراحة.

نظر إليه زاهر وهو يقول :

– بالعكس هي غيرتنا الأيام، الحادثه والرحلة، كانت درس مش هننساه طول عمرنا.

نظر إليه وفي عينيه حزن وهو يقول:

– أنت دايما تجرحك الحوادث بجرح لا يندمل، المصاب كان قوى فعلا.

نظر إليه زاهر وهو يقول:

– ايوه ولكني دلوقت، سبت كل حياتي اللي كنت بحياها في وجع و شفت شغل وبقيت دايب فيه على الاخر، وتقريبا بقيت بنسي اللى فات..

نظر إليه باستغراب قائلا :

– شغل أنت! غريبة و ايه اللى بتشتغله؟

ضحك قائلا:

– بشتغل في وحده من شركات البترول، مدير أمن.

اغمض عينيه ثم فتحهما وهو ينظر إلى ساعة الحائط وهو يتمتم بينه وبين نفسه:

– الحمد لله لقد أصابتنا الأحداث بوهج التغيير، أنت تعمل وتنسى همومك، و أنا الان قد قررت أن أكون شخصا جديدا، سوف أسافر إلى فرنسا منبع الرومانسية وجدول السحر الرقيق للقلوب العطشى، العالم يقف تبجيلا للرومانسية المشعة منها، أنتقل لباريس حيث الشوارع هادئة ومبانٍ عريقة..

ففرنسا تخبئ للحالمين وذوي الأمزجة الهادئة رغباتهم، بها من القرى الوادعة التي تجمع بين سحر البراءة، والهدوء ، والمساحات الخضراء التي تعيد للنفس أحاسيسها العفوية، فانا اعشق الهدوء.. فما بالك إذا كان ممزوج بالعراقة وعبق التاريخ ينضح من جوانبه، من عاش بفرنسا لن يستطيع ان يجد لها بديل أو شبيه، ولكننا أهل مصر توجد عندنا من سحرت قلوب كل من رآها من اسكندر إلى آخر جيل في الأرض، ستبقى الإسكندرية ساحرة القلوب.

نظر إليه وهو يقول:

– انا دلوقت قدامي شركه كبيره في فرنسا، كانت طلبت منى الأوراق قبل سفرنا بأيام وكنت ما اهتمتش بالأمر، بس دلوقت

بحثت في "النت" و أنا في المستشفي، ولقيت انهم عيزين دفعة جديدة من مصممين دعاية ولوحات دعائية، لديهم سابقة خبرة.

تنهد زاهر وهو يقول له:

ومس إيجبت هتسيبها.؟

ينظر إليه وهو يبتسم قائلا:

– لا فهى الروح للجسد ومنبع التألق والوهج، اتفقت معها أن تسافر معي، أقنعتها بان الحب هو الحياة، ولابد من أن يستمر لنعيش، ووافقت على السفر معي، تاركة كل حاجه وراها.

يتنهد زاهر قائلا:

وابوها..؟

ينظر احمد إلى الحائط وهو يقول:

قلتلها انه مش هيكون حاكم وجلاد.

نظر زاهر إلى حيث ينظر هو، وتعلق بصر الاثنين بساعة الحائط التي كانت عقاربها تتحرك. فتعجب متسائلا من أصلحها، هل فكت هي الأخرى قيودها، وقررت العمل وترك كسلها لكي تعمل بإيجاب.

** * ** * ** *

تمت بفضل الله